علّمتني سُورة يس

الطبعة الأولى

كل الحقوق محفوظة
محرم ١٤٤٠هـ. - سبتمبر - أيلول ٢٠١٨م.

يوزع مجاناً عن روح المرحومين بإذن الله
السيد محمد حسني كبارة
السيدة فخرية كبارة
العقيد ظهير الأسعد
السيدة نسيبة المقدم
وصدقة جارية عن أرواح أموات جميع المسلمين والمسلمات

لبنان - طرابلس

علّمتني سُورة يس

جمع وإعداد
م. عامر كبّارة

بسم الله الرحمن الرحيم

إهداء

إلى الذين يُريدون أنْ يعرِفوا لماذا طلب الرسول الكريم ﷺ منا قراءة سورة «يسّ» في عدة مناسبات..

وإلى كلِّ مسلم ومسلمة..

إلى والدتي الكريمة -حفظها الله- ووالدي الكريم -رحمه الله-..

إلى زوجتي الحبيبة.. وأولادي.. وأزواجهم.. وأحفادي.. وسائر العائلة الكريمة..

وإلى الإخوة والأصدقاء الأجلَّاء..

حفظهم الله

أهدي هذا الكتاب

*****

المقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمدُ للهِ رَبِّ العَالَمِينَ، والصلاة والسلام على خاتم النبيين سيدِنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين.

لقد خلقنا الله سبحانه في هذه الدنيا للاختبار، وما علينا أن ننجح في هذا الامتحان، وذلك بالإيمان بالله واليوم الآخر وممارسة الأخلاق القويمة والعمل الصالح وإعمار الأرض كما يحب ويرضى لنفوز بالجنة المسكن الأبدي.

لقد سمع الكثير منَّا حديثَ رسول الله ﷺ: «اقرؤوا على موتاكم «يس»». رواه الإمام أحمد، فذهب البعض إلى قراءتها على الموتى في المقابر، وذهب الأكثر إلى أن ذلك ليس هو المقصود من الحديث الشريف، بل المقصود قراءتها على الأحياء حتى لو كانوا في آخر رمق لهم في هذه الحياة وهم على فراش الموت أوحين الاحتضار؛ وذلك مِن لطف الله عز وجل بعباده ورحمته التي وسعت كل شيء، وحِرصِ رسوله على إيمان أكبر عدد من الناس؛ لأن الحياة مازالت فيهم، فلا بدَّ من توجيه الدعوة إليهم وعدمِ اليأس منهم عسى اللهُ أنْ يتوبَ عليهم فيُدخِلَهم الجنةَ؛ وإنَّ اللهَ تعالى لا يريد أن يعذِّب البَشَرَ، قال سبحانه: ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ

﴿إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ (النساء)، بل يريد الله تعالى لعباده الجنةَ، وطريقُها التوبةُ ولو كان العبدُ على فِراش الموت.

وقد يخطئ الانسان أحياناً، بل وقد يعصي الله على غفلة، ولكن من رحمة الله تعالى أن أبواب التوبة مفتوحة للجميع.

وقد تنوَّعتْ المواضيعُ التي تناولَتْها سورةُ «يسٓ»، فقد تحدثتْ عن الإيمان بالبعث والنشور، وكذلك جاء فيها ذكرُ قصةِ أهلِ القريةِ التي أَرسل اللهُ إليها المرسلين، كما ذكرتِ الأدلةَ والبراهينَ التي تُثبت وحدانيةَ الله تعالى وتَفرُّدَه بالخَلْق والعِبادة.

وقد افتتح اللهَ عزَّ وجل السورةَ بحروفٍ مقطَّعةٍ: «يسٓ» والتي تدُلُّ على إعجاز القرآن الكريم الذي تحدّى به اللهُ سبحانه وتعالى الكافرين أن يأتوا بمثله، ولم يستطيعوا ولن يستطيعوا، فتفسير هذه الحروف من علم الغيب، فلا أحد يعلم معناها غير الله عز وجل، وسورة «يسٓ» تُعَدُّ قَلْبَ القرآنِ الكريم؛ وقد حثَّ النبيُّ ﷺ المسلمين على قراءتها باستمرار لما لها من فوائد عظيمة.

ومن أجمل ما قرأتُ عن هذه السورة مقال الدكتور راتب النابلسي، حيث كتب يقول: (توقفتُ كثيرًا في سورة «يس»، فوجدتُ فيها أمرًا ربما لا نلتفتُ إليه كثيرًا.. غالبًا ما نجد أهل المتوفَّى يعكُفون على قراءة سورة «يسٓ» يوم الوفاة لعل اللهَ ينفعُ بها الميتَ، والأوفياء منهم ربَّما يواظبون عليها عدة أيام بعد وفاةِ عزيزٍ عليهم، لكنَّ الأمر المهم في سورة «يسٓ» أن الله قال فيها – عن القرآن الكريم –: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ يس/ ٧٠، ولم

يقُل: لينفع مَن كان ميتًا، فليس الموضوع هنا هو انتفاع الميت فحسب، كم من الأحياء الذين قرؤوا سورة «يسّ» على الميت انتفعوا بقراءتها! فوجدتُ أننا أغفلنا الحكمة الأعظم في القرآن ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا﴾ (يس/ ٧٠).

ثم مَن قرأ «يسّ».. هل انتفع بها؟ كم منهم تعلم منها ولو معنًى واحدًا؟ كم منهم أثَّرت في حياته وغيَّرت منها شيئًا؟ هؤلاء الألوف الذين يقرؤونها كلَّ يوم ماذا صنعوا بها؟ ثم سألت نفسي: ماذا صنعتَ أنت بها؟ ووقفتُ قليلًا لتدبُّر السورة، فلفتَ انتباهي فيها آياتٌ كثيرةٌ، لكن أبرز ما لفت انتباهي قصةُ القرية التي جاءها المرسلون.

الذي استوقفني في القصة شيءٌ أدهشني، أن رجلًا من القرية اقتنع بما يدعو إليه المرسلون، وقام ملهوفًا على قومه، جاء يحاور قومَه ويدعوهم إلى ما اعتقد أنه سبيلُ الفوز والسعادة، جاء يحمل الخير لهم، جاء بخطابٍ يَمَسُّ العاطفة فيستَمِيلُها، ويخاطبُ العقلَ فيُقنِعُه، وكانت مكافأتُهُ مِن قومه أنْ قتلوه، ليست قِتْلةً عادية، بل بطريقة حقيرة رديئة لا يُزاولها إلا حيوان برِّيٌّ لم يعرف شكلًا من التهذيب والتربية.. تروي التفاسير أن قومه قاموا إليه فركلوه ورفسوه حتى خرج قَصُّهُ [عظمةُ القَصِّ ما يصِلُ بين الأضلاع] من ظَهرِهِ، ثم يُدهشُك ما سيحدث بعد ذلك...

يخبرنا القرآنُ أنَّ هذا الرجل قيل له: ﴿ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَ﴾..، لو كنتَ مكانَه لقلتَ على الفور: يا ربِّ، والقَتَلَة؟ أَلَنْ تنتقم لي منهم؟ ألن تعذبهم؟ يا رب سلِّط عليهم حميرًا ترفسهم حتى يموتوا... الذي أدهشني هو أُمنية الرجل: ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾ (يس).

الحقيقة، توقفتُ كثيرًا أمام هذه النفس العظيمة، نفسٍ رَحْبةٍ واسعةٍ جدًّا، حتى إنها لم تحملْ ضغينةً على القَتَلَة، بل على العكس، كانت أولُ أمنيَةٍ له فَورَ أن بُشِّر بالجنة: لو أن هذا المجتمعَ القاسي الذي قابل الجميلَ بالقتل، لو أنهم يعلمون المُنقَلَبَ، لو أنهم يطَّلعون على الخير الذي أعدّه الله للصالحين ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ﴾، أدهشني حرصه على الخير لقومه مع ما واجه منهم، أدهشني تمسُّكه بالرغبة في إصلاحهم مع ما تبيَّن من عنادهم، أدهشني هِمته في دعوتهم للخير مع توقف مطالبته بالعمل، أدهشني حبه الخيرَ للآخرين، حتى مَنْ آذوه، أدهشني أن تكون أول أمنية له: لو أنهم يعلمون.

وبعد أيام، وقفت من سيرة رسول الله ﷺ على موقف مُشابِهٍ، رحلة الطائف، ويأتيه مَلَك الجبال يقول له: «لو شئتَ أطبقتُ عليهم الأخشبين»، فيجيب: «اللَّهُمَّ اهْدِ قَوْمِي فَإِنَّهُمْ لا يعْلَمُونَ» (رواه البيهقي في شعب الإيمان).

وصلتُ إلى خلاصة.. أن الكِبار وَحْدَهم هم الذين يتحملون سفاهةَ الناس من أجل هدفٍ أَسْمى.. هو «إصلاحُهم»، الكبارُ وحدهم هم الذين لا يُعادون أحدًا انتقامًا لأشخاصهم، الكبار وحدهم هم الذين تكون أُمنياتُهم بِناءً، الكبار وحدهم هم من يتقبَّلون دفع ضريبةِ حَمْلِ الإصلاح للناس، الكبار وحدهم هم الذين لا يعرف عامةُ المجتمع أقدارَهم، السيرة الطيبة هي أجمل ما يتركه الإنسان في قلوب الآخرين، فإذا مات القلب ذهبت الرحمة، وإذا مات العقل ذهبت الحكمة، وإذا مات الضمير ذهب كلُّ شيء). انتهى كلام الدكتور النابلسي حفظه الله.

فـكان هذا المقال من الحوافز التي جعلتنـا نتطلَّع إلى البحث في هذه السورة «يسٓ» والقيام بنقل شروحاتها وتبسيط تفسيراتها من عدة جوانب، وقد أخذت من هذه المراجع:

- معـاني الكلمات ومـن هداية الآيـات، من كتب أيسر التفاسـير لكلام العليِّ القدير، للشيخ أبو بكر الجزائري رحمه الله.
- من كتاب التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم، للشيخ محمد الغزالي رحمه الله.
- تفسـير مفصَّـل مـن محـاضرات وخواطـر الدكتور محمـد راتب النابلسي حفظه الله، وقد نقلنا تفسيره بتصرف.

وقد راجع هذا البحث ودققه الأخ الأستاذ الفاضل محمد عماد قلب اللـوز، وهو مـدرس في اللغة العربية والشريعة حفظـه الله، والله مِن وراء القصد، ونرجو أن نكون قد وُفِّقنا في هذا العرض، والله ولي التوفيق.

سورة «يسٓ»

آياتها:

تُعدُّ سـورةُ «يس» من السوَر المكيَّة التي نزلت على سيدنا محمد عليه الصلاة والسـلام قبل الهجرة، ويبلـغ عدد آياتها (٨٣) ثلاثًـا وثمانين آية، وترتيبها (٣٦) السادسـة والثلاثون من سـوَر المصحـف، وتقع في أواخر الجـزء الثاني والعشريـن «٢٢» وأوائل الجزء الثالـث والعشرين «٢٣» في المصحف الشريف.

تسميتها:

١ - سميّت بـ «يسٓ» لافتتاحها بهذا اللفظ.

٢ - وقد سُمِّيت بـ «قلب القرآن»، لقول الرسول ﷺ: «قلب القرآن يس» رواه أحمد.

قال بعض العلماء - كالورَّاق -: المقصود بـ «يس» سـيدنا محمدﷺ، سـيد البشر، وقـال بعضهم - كالواحـديِّ -: إن معناها: يا إنسـان، أو يا رجل، والله أعلم.

سبب نزولها:

تناولتْ سـورة «يسٓ» العديدَ من المواضيـع، وقد كان لكلِّ مجموعة من الآيات سببُ نزولٍ خاصٌّ بها، ومن أسباب نزول سورة «يسٓ» ما يأتي:

قال الله عز وجـل: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ

﴿ ٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٤ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ٦ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ٩ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٠ ﴾، سبب نزول هذه الآيات – كما قال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما–: (كان النبي ﷺ يقرأ في المسجد، فيجهر بالقراءة، حتى تأذى [انزعج] به ناسٌ من قريش، حتى قاموا ليأخذوه، وإذا أيديهم مجموعة إلى أعناقهم، وإذا هم لا يبصِرون، فجاؤوا إلى النبي ﷺ، فقالوا: ننشدك اللهَ والرَّحِمَ يا محمد! – ولمْ يكن بطنٌ من بطون قريش إلا وللنبي ﷺ فيهم قرابة –، فدعا النبي عليه الصلاة والسلام حتى ذهب ذلك عنهم). يُظهِر الحديثُ الواردُ في سبب نزول هذه الآيات عظيمَ قدرة الله عز وجل وحفظِه لنبيه عليه الصلاة والسلام، وردَّ كيدِ كفَّار قريش في نُحورهم.

أما في قول الله عز وجل: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ١٢ ﴾، فإن سبب نزول هذه الآية – كما قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه –: (كان بنو سلمة في ناحية من المدينة، فأرادوا أن ينتقلوا إلى قرب المسجد، فنزلت هذه الآية، فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ آثَارَكُمْ تُكْتَبُ» فلَم ينتقلوا. (رواه الترمذي). يُبيِّن هذا الحديث أن كلَّ ما يعمله الإنسانُ من خير يُكتب له أجْرُهُ، والعكس كذلك.

وفي قول الله عز وجل: ﴿ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا

هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾، وقد قال العلماء أن سبب نزول هذه الآيات: هو المأثور عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما في قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ﴾ إلى قوله: ﴿وَهِيَ رَمِيمٌ﴾، قال: جاء أُبيُّ بن خلف إلى النبي عليه الصلاة والسلام بعظم بالٍ فكسره بيده، ثم قال: يا محمد! كيف يبعث الله هذا وهو رميم؟ فقال رسول الله ﷺ: «نَعَمْ، يُحْيِي اللهُ هَذَا وَيُمِيتُكَ ثُمَّ يُحْيِيكَ وَيُدْخِلُكَ النَّارَ».

فضلها:

لسورة «يس» فضائل كثيرة ومهمة، فقد ورد عن الرسول ﷺ أنه قال:

١. «مَنْ قَرَأَ يس فِي لَيْلَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ غُفِرَ لَهُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ». أخرجه الدرامي عن أبي هريرة.

٢. «إِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ قَلْبًا، وَقَلْبُ الْقُرْآنِ يس، وَمَنْ قَرَأَ يس كَتَبَ اللهُ لَهُ بِقِرَاءَتِهَا قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ عَشْرَ مَرَّاتٍ». أخرجه الدارمي عن أنس.

٣. «مَنْ قَرَأَ يس حِينَ يُصْبِحُ أُعْطِيَ يُسْرَ يَوْمِهِ حَتَّى يُمْسِيَ، وَمَنْ قَرَأَهَا فِي صَدْرِ لَيْلَهِ أُعْطِيَ يُسْرَ لَيْلَتِهِ حَتَّى يُصْبِحَ». أخرجه الدارمي عن ابن عباس.

٤. «يس» قَلْبُ الْقُرْآنِ، لَا يَقْرَؤُهَا رَجُلٌ يُرِيدُ اللهَ وَالدَّارَ الْآخِرَةَ إِلَّا غُفِرَ لَهُ،

وَاقْرَؤُوهَا عَلَى مَوْتَاكُمْ». أبو داوود عن معقل بن يسار.

٥. «مَنْ قَرَأَ يس فِي لَيْلَةٍ ابْتِغَاءَ وَجْهِ اللهِ غُفِرَ لَهُ». رواه ابن حبان في صحيحه.

٦. وهي تُهوِّن على الميت سكراتِ الموت، روى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: «مَا مِنْ مَيِّتٍ يَمُوتُ فَيُقْرَأُ عِنْدَهُ «يس» إِلَّا هَوَّنَ اللهُ عَلَيهِ». رواه أبو نعيم.

٧. كما جاء في فضلها أنها تقضي الحاجة، قال العلماء: من أراد حاجة فليقرأ سورة «يسّ»، فإن لقراءتها أثرًا خاصًّا بتقدير الله وإرادته ومشيئته لِمَنْ كان له حاجةٌ، كما أن لها أثرًا كبيرًا في التيسير والفرج بإذن الله.

٨. وبصورة عامة، قال العلماء: إن آيات سورة «يس» العظيمة تحثّ وتدعو إلى توحيد الله، وتذكِّر بالبعث والنشور، ولما فيها من أسلوب فريد في ذكر القصص عن الأمم والأقوام السابقة فإنها تؤدِّي إلى تليين قلب قارئها؛ لدقّة معانيها وقوَّتها.

سُورَةُ يٰسٓ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يٰسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ
صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ
أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ
فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى
ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا
وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ
عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ
مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ ۖ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ
وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ
مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

معاني الكلمات:

١- يٰسٓ: أحد الحروف المُقطَّعة، يُكتب: (يس)، ويُقرأ: (ياسين)، والله أعلم بمراده.

٢- وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ: ذي الحكمة، وهو كتاب الله الحكيم والمحكم.

٣- إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ: أي يا محمد أنت من جملة الرسل الذين أرسلهم الله لأقوامهم.

٤- عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ: أي طريق مستقيم وهو الإسلام.

٥- تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ: القرآن تنزيلُ الله العزيز في انتقامه ممَّن كفر به، والرحيم بمن تاب إليه.

٦- مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ: لم يُنْذَر آباؤهم؛ إذْ لم يأتِهم رسولٌ من فترةٍ طويلةٍ.

٦- فَهُمْ غَٰفِلُونَ: لا يدرون عاقبة ما هم عليه من الكفر والضلال، ولا يعرفون ما ينجيهم من ذلك، وهو الإيمان وصالح الأعمال.

٦- لِتُنذِرَ قَوْمًا: لتحذِّر قريشًا وغيرها.

٧- لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ: وجب عليهم العذاب؛ فلذا هم لا يؤمنون.

٨- إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا: جعلنا أيديَهم مشدودةً إلى أعناقهم بالأغلال.

٨-فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ: أيديهم مجموعةٌ إلى أذقانهم، والأذقان جمع ذَقَن، وهو مَجْمَعُ اللَّحْيَين.

٨-فَهُم مُّقْمَحُونَ: رافعو رؤوسِهم لا يستطيعون خفضها؛ فلذا لا يكسبون بأيديهم خيرًا، ولا يذعنون برؤوسهم إلى حق.

٩- وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا: عَمُوا عن قَبول الشرائع في الدنيا، (وقيل: جعلنا أمامهم حاجزًا عظيمًا).

٩-وَمِنْ خَلْفِهِمْ: في الآخرة، (وقيل جعلنا خلفهم حاجزًا)

٩-فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ: جعلنا على أبصارهم غِشاوةً؛ فَهُمْ لذلك لا يُبصِرون.

١٠- وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ: استوى إنذارُك لهم وعدمُه في عدم إيمانهم.

١١-مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ: مَن اتَّبع القرآن.

١١-وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ: مَن خاف اللهَ في الدنيا قبل أن يلقاه فأطاعه واتبع أمرَه.

١١-وَأَجْرٍ كَرِيمٍ: بالجنة دارِ النعيم والسلام.

١٢- إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ: نحيي الموتى للبعث والجزاء.

١٢-وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ: نكتب ما عملوه من خير لنحاسبهم به، وآثارهم أي: خُطاهم إلى المساجد، أو الأعمال الحسنة كالصدقة الجارية.

١٢-أَحْصَيْنَٰهُ: كتبناه وأثبتناه وحفظناه.

١٢-فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ: في اللوح المحفوظ.

من هداية الآيات

الآية: ٣- تقرير النبوَّة المحمَّدية، وتأكيد رسالته صلى الله عليه وسلم من الله العزيز الحكيم.

الآية: ٤- أن أقوال وأفعال وأوامر ونهي الرسول الكريم كلَّها من عند الله، وهي تؤدي إلى الطريق الصحيح وهو طريق الإسلام لله تعالى والإيمان به.

الآية: ٥- تقرير أن القرآن الكريم من عند الله العزيز الحكيم، وهو الكتاب المُحكَم نظمًا ومعنى، والذي يحتوي على الحِكَم المطلقة التي تضع كل شيء في موضعه والواجب الاتباع لتعاليمه...

الآية: ٦- أن الحكمة من إرسال الرسول وإنزال الكتاب الكريم هي بيان الحق وإنذار الغافلين والكفَّار.

الآية: ٦- بيان أن الرسول محمدًا صلى الله عليه وسلم بُعث على فترة من الرسل؛ حيث لم يأتِ رسول للعرب بعد اسماعيل عليه السلام.

الآية: ٧- العذاب - لا محالة - في الآخرة للقوم الذين لا يؤمنون بالله ولا يُذعنون للحق.

الآية: ٩- بيان أن حبَّ الدنيا والإقبالَ عليها والإعراضَ عن الآخرة وعدمَ الالتفات إليها يضع الإنسان بين حاجزين وهميَّين لا يستطيع تجاوزهما والتخلُّص منهما عِندًا أو تكبُّرًا.

الآية: ١٠- بيان أن الذنوب تقيِّد صاحبها (ما لم يَتُبْ إلى الله) وتَحُول بينه وبين فعل الخير أو قَبول الحق.

الآية: ١١- بيان أن أعمال الإنسان تُحصى عليه، فمن سَنَّ سنةً حسنة أو سيئة يُعمل بها بعده يُجزَى بعمل من عمل بها كما يُجزَى على عمله الذي باشره بيده.

الآية: ١١- البشرى من الله بمغفرة الذنوب والأجر الكريم للعباد النادمين على المعاصي، التائبين، والذين يخشون الله عز وجل.

الآية: ١٢- تقرير عقيدة القضاء والقدر، وأن كل شيء في كتاب المقادير (المعبَّر عنه بالإمام)، ومعنى المُبِين: أن ما كُتِب فيه واضح لا يُجهَل منه شيء، (ليس معنى هذا أن الإنسان غير مسؤول عن عمله بل المقصود أن أي عمل قد سبق بعلم الله العليم بأن هذا الإنسان سيعمله ولذلك فقد كتبه في كتاب المقادير).

الآية: ١٢- إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: من علم يُنتَفَع به، أو ولدٍ صالح يدعو له، أو صدقةٍ جارية من بعده.

الآية: ١٢- البعث بعد الموت قائمٌ - لا محالة - للحساب والجزاء.

وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾
إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ
إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ ﴿١٤﴾ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ
ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ
إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾
قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم
مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۡۚ
بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ
يَسۡعَىٰ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُواْ مَن
لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي
فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن
يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا
يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ
بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي
يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾

معاني الكلمات:

١٣- وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا: اجعل لهم مثلًا.

١٣- أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ: قيل إنها أنطاكية عاصمة بلاد الروم.

١٣- إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ: قيل: هم رُسُل عيسى عليه السلام.

١٤- فَعَزَّزۡنَا بِثَالِثٖ: قوَّينا أمرَ الرسولَين ودعوتَهما برسول ثالث (قيل: هو حبيب ابن النجار).

١٧- وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ: التبليغ الظاهر البيِّن بالأدلة الواضحة.

١٨- إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡ: تشاءمنا بكم؛ وذلك لانقطاع المطر عنا بسببكم.

١٩- قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡ: شُؤْمُكم معكم، وهو كُفركم بربكم.

١٩- أَئِن ذُكِّرۡتُمۡ: لَمَّا وُعِظتم وخُوِّفتم تطيرتم، وهذا توبيخ لهم.

١٩- بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ: متجاوزون للحد في الشرك والكفر.

٢٠- وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ: من أقصى ناحية من المدينة (أنطاكيا).

٢٠- رَجُلٞ: (حبيب بن النجار) صاحب يس.

٢٠- يَسۡعَىٰ: يشتدُّ مسرعًا لَمَّا بلغه أنَّ أهل البلد عزموا على قتل رُسُل عيسى الثلاثة.

٢٠- قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ: اتبعوا رُسُل عيسى عليه السلام.

٢١- ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا: اتبعوا مَن لا يُطالبكم بأجرة على إبلاغ دعوة الحق.

٢١- وَهُم مُّهۡتَدُونَ: ويقصد هنا الرسل؛ فإنهم على هداية من ربهم، وما هم بكذابين.

٢٢- فَطَرَنِي: خلقني.

٢٣- إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ: إن ابتلاني اللهُ بمرض أو نحوه.

٢٣- وَلَا يُنقِذُونِ: لا يمنعون عني ما أراد اللهُ لي من ضُرٍّ.

٢٤- إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ: إني إذا اتخذت من دون الله آلهةً أعبدها فإني في ضلال مبين.

٢٥- إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ: صارح قومَهُ بهذا القول، (لكنهم قتلوه).

٢٦- قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَ: قالت له ملائكة الموت -بأمر ربها-: ادخل الجنة.

٢٦- يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ: قال هذا لَمَّا شاهد مَقْعَدَهُ في الجنة (قبل لفظ أنفاسه الأخيرة).

٢٧- بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ: بما سامحني ربِّي على ذنوبي السابقة بعد الإيمان والتوحيد والصبر على ذلك؛ مما جعلني ممَّن أكرمهم الله بالجنة.

مـن هدايـة الآيـات

١٣- استحسان ضَرْب المثَل لتقريب حالةٍ غريبة بحالة أُخرى مثلِها حاضرة، وذلك لتقريب المعنى.

١٤- تشابُه حال الكفار في تكذيب الرسل والكتب السماوية والإصرار على الجحود في كل زمان ومكان.

١٥- يجب الانتباه إلى لجوء أهل الكفر - بعد إقامة الحجة عليهم - إلى التهديد والوعيد.

١٧- على كل فرد أن يتدارس القرآن ويفهمه ليعمل به فعلًا لا قولًا فقط، يبدأ بنفسه ثم بعائلته فمجتمعه، والدعوة بالتي هي أحسن.

١٧-٢٠- وجوب تبليغ دعوة الحق إلى المحيطين والتنديد بالشرك مهما كان ذلك صعبًا وقاسيًا.

١٨- أن دعاة التوحيد والدين الحق في كل زمان ومكان يلاقون شدائد وأهوالًا كثيرة ومتنوعة (فعليهم بالصبر).

١٨-١٩ التطيُّر (التشاؤم) مُحرَّم في الإسلام.

٢٠- على المؤمن أن يسعى دائمًا لنصرة الحق ومساعدة الآخرين (مهما كانوا)، وخصوصًا المؤمنين.

٢١- يُستحسَن أن تكون المساعدةُ للآخرين من غير أجر أو منفعة دنيوية، وأن تكون لوجه الله تعالى ابتغاءَ نيلِ رضوانه في الآخرة.

٢٣- «الضُّرُّ» من خلق الله عز وجل، فإن كُتِبَ على المؤمن فهو «ابتلاء» وسيُجزى بصبره عليه أحسن الجزاء إن احتسبه لله.

٢٦-٢٧- بُشرى الله للمؤمن عند الموت (الاحتضار) فيرى مقعده من الجنة رأي العين (ويبدأ نعيمه من البرزخ).

۞ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا
كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ
﴿٢٩﴾ يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ
يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ
أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ
﴿٣٢﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا
فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ
وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾ لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ
وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى
خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ
وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ
فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ
ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ
عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ
ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾

معاني الكلمات:

٢٨- وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ: على قوم (حبيب بن النجار) وهم أهل أنطاكية من بعد موته والله أعلم.

٢٨- مِن جُندٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ: من الملائكة لإهلاكهم كما أهلكت الأمم السابقة.

٢٩- إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً: وهي صيحة جبريل عليه السلام.

٢٩- فَإِذَا هُمْ خَٰمِدُونَ: ساكتون لا حراك لهم (ميتون).

٣٠- يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ: وَيْلًا وتندُّمًا على العباد الكافرين بالرسل.

٣٠- مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ: هذا سبب التحسر عليهم أنهم كانوا يستهزئون بالرسل.

٣١- أَلَمْ يَرَوْا۟ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ: ألم يَرَ أهلُ مكة المكذِّبون للرسول ﷺ كم أهلكنا قبلهم من الأمم.

٣٢- وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ: إنَّ كلَّ الخلائق مُحْضَرون لدينا يومَ القيامة لحسابهم ومجازاتهم.

٣٣- وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ: دليل على حقيقة البعث.

٣٣- أَحْيَيْنَٰهَا: بإنزال المطر عليها، فأصبحت حية بالنبات والزروع.

٣٤- وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ: جعلنا فيها بساتين.

٣٥- وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ: عملته أيديهم، ولكنه من صنع الله وخلقه.

٣٥- أَفَلَا يَشْكُرُونَ: أفيرون هذه النعم ولا يشكرونها؟؟! إنه موقف مُخْزٍ.

٣٦- سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا: تنزيهًا وتقديسًا لله الذي خلق الأصناف كلها.

٣٦- وَمِنْ أَنفُسِهِمْ: من الأولاد الذكور والإناث.

٣٦- وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ: من المخلوقات، كالتي في السماوات والأرض.

٣٧- وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ: وآية لهم على إمكان البعث أن نزيل النهار عن الليل فإذا هم مظلمون بالليل.

٣٧- مُّظْلِمُونَ: من الظلام، وهو غياب الضوء وحلول سواد الليل.

٣٨- لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا: مكان لها لا تتجاوزه.

٣٨- ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ: جَرْيُها في فلكها هو تقدير من العزيز في ملكه العليم بكل خلقه.

٣٩- وَٱلْقَمَرَ قَدَّرْنَٰهُ مَنَازِلَ: تقدير منازل القمر التي هي «٢٩» منزلة بعدد أيام الشهر.

٣٩- حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ ٱلْقَدِيمِ: حتى رجع كالعذق الذي في النخلة يحمل التمر.

٤٠- لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ: لا يمكن للشمس ولا تستطيع أن تجتمع مع القمر في الليل.

٤٠- وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ: بأن يأتي قبل انقضائه.

٤٠- وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ: فالشمس والقمر والنجوم كلٌّ يسير في دائرة خاصة به.

من هداية الآيات

٢٩- تأكيد قدرة الله تعالى على إهلاك أهل الأرض بصيحة واحدة.

٣٠- سوف يتحسَّر العبادُ على أنفسهم في الآخرة إذا كانوا ظالمين ومكذبين، فالحسرة منهم وعليهم.

٣١- لا يجوز الاستهزاء بما هو من حرمات الله تعالى التي يجب تعظيمها.

٣١- يجب أخذ العبرة من أخبار الماضين وأحوالهم، والعاقل من اعتبر بغيره.

٣٢- سوف يحضر كلُّ الخلائق لا محالة يوم القيامة لحسابهم ومجازاتهم من العلي القدير.

٣٢- أن عقيدة البعث والجزاء هي القوة الدافعة للإنسان على فعل الخيرات وترك الشرور والمنكرات.

٣٣- القرآن يحوي الأدلة القاطعة والبراهين الساطعة على البعث -قيام الإنسان من قبره في يوم القيامة- ووقوعه حتمًا.

٣٣-٣٦- أن الله خلق الآيات (الدلائل) الكونية ليتفكر الإنسان في ملكوت السماوات والأرض، وأن الله تعالى خالق كلِّ شيء من أكل وشرب وغيرها قادرٌ على إزالة الكون بما فيه بلمح البصر.

٣٥- وجوب شكر الله تعالى بالإيمان وبطاعته وطاعة رسوله على نعمه الكثيرة، ومنها نعمة الإيجاد (الحياة) ونعمة الإمداد بالغذاء والماء والهواء.

٣٦- أن نظام الزوجية (ذكر وأنثى) في الكون هو آيةٌ على أن القرآن وحيُ اللهِ وكلامُه؛ إذ قرر القرآنُ نظامَ الزوجية قبل معرفة الناس لهذا النظام في الذرة وغيرها في القرن العشرين.

٣٧-٣٨- ما ذكره القرآن عن الشمس والقمر يدركه الجميع؛ وذلك لتقوم الحجةُ على جميع الناس إنْ هم لم يؤمنوا بالله ولم يوحِّدوه في عبادته ويخلصوا له في طاعته وطاعة رسوله.

٣٧-٤٠- ذكرُ القرآنِ لأمور الفلك التي لم يعرفها الناسُ إلا في هذه الأيام ما هو إلا دليلٌ على أن القرآن وحيُ الله، وأن من أُوحيَ إليه هو رسولُ الله قطعًا.

٤٠- الدلائل العلمية في العصر الحديث أقرَّت أن كلًّا من الشمس والقمر والكواكب السيَّارة تسبح في فلك (مدار) خاص بها؛ حتى لا يقع فيها خلط ولا ارتطام إلى أن يشاء الله سبحانه.

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا
لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ
وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا
قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾
وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا۟ عَنْهَا مُعْرِضِينَ
﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟
لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ
﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾
وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ
﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ
وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً
وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ
نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾

معاني الكلمات:

٤١- وَءَايَةٌ لَّهُمْ: وعلامة لهم على قدرتنا على البعث.

٤١- أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ: نجّينا ذرية قوم نوح لأنهم مؤمنون موحّدون، وأغرقنا آباءهم بالطوفان لأنهم مشركون.

٤١- فِي ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ: في سفينة نوح المملوءة بالأزواج من كل صنف من المخلوقات.

٤٢- وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ: من مثل سفينة نوح.. ما يركبون: كالبواخر.

٤٣- فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ: لا مُغيث ينجيهم فيَكُفَّ صُراخَهُم.

٤٤- وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ: وتمتيعًا لهم في الحياة بالطعام والشراب إلى نهاية آجالهم.

٤٥- ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ: قُوا أنفسَكم من عذاب الدنيا؛ وذلك بالإيمان والاستقامة.

٤٥- وَمَا خَلْفَكُمْ: من عذاب الآخرة إذا أصررتم على الكفر والتكذيب.

٤٦- وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ: وما تأتيهم من حُجَّةٍ من حُجَج القرآن الدَّالَّة على توحيد الله وصدق الرسول ﷺ.

٤٧- وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا۟: وإذا قال فقراء المؤمنين في مكة للأغنياء الكافرين: أنفقوا علينا.

٤٧- مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ: من المال والطعام ونحوه.

٤٧- أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ: قال الكفار للمؤمنين - استهزاءً بهم -: أنُطعمُ من لو يشاء الله لرزقهم بالطعام؟

٤٧- إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ: ما أنتم - أيها الفقراء - إلا في ضلال مبين في اعتقاداتكم التي أنتم عليها.

٤٨- مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ: متى البعث؟

٤٩- مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً: ما ينتظرون إلا صيحة واحدة، وهي نفخة إسرافيل.

٤٩- تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ: تأخذهم الصيحة بغتة وهم يتخاصمون في البيع والشراء والأكل والشرب وهم لا يشعرون.

٥٠- فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً: عندئذٍ لا يقدر أحدهم أن يوصي وصية لأحد.

٥٠- وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ: بل يهلكون في أماكنهم بالأسواق والمزارع والمصانع أو المقاهي أوغيرها.

٥١- فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ: يخرجون بسرعة من القبور إلى ربهم.

٥٢- قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا: قال الكفار: من أحيانا من قبورنا؟

٥٢- هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ: هذا ما وَعد به اللهُ وصدق المرسلون فيما أخبروا به.

٥٣- صَيْحَةً وَٰحِدَةً: صراخ وصوت عالٍ يجلب الخوف والرعب.

٥٣- جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ: جميع الأمم ستحضر للحساب يوم القيامة.

٥٤- لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا: لا ينقص من عملها ولا تحمل وزر غيرها.

من هداية الآيات

٤٢- الإشارة بالمثلية في قوله: ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ إلى تنوُّع المراكب البحرية والبوارج والغواصات وحاملات البضائع..، وغيرها من السفن (التي لم تكن موجوده في العصور السابقة، وهذا من إعجاز القرآن الكريم).

٤١-٤٣- بيان فضل الله على البشرية جمعاء في نجاة مؤمني قومِ نوح وذريتهم، ومنهم كان البَشر، ولو أغرق اللهُ الجميعَ لم يبقَ في الأرض أحدٌ.

٤٤- تقرير حماية الله تعالى للعباد ورعايته لهم في حياتهم وتمتعهم، وإلا لهلكوا، وتستمر الحماية في الحياة إلى نهاية آجالهم.

٤٦-٤٧-٤٨- بيان أن علوَّ الكافرين في الدنيا وطغيانهم وسخريتهم مؤقَّتٌ، وسيُهزمون بعد حين لا محالة.

٤٨-٥٤- تقرير عقيدة البعث والجزاء -يوم القيامة- بذكر بدايتها ونهايتها.

٤٩- الساعة (يوم القيامة) لا تأتي إلا بغتة، وهي من الغيب، فلا يعلم وقت قيامها إلا اللهُ تعالى.

٥٠- عند وقوع الآجال (الموت) لا يقدر أحد أن يوصي وصية لأحد، فيجب الانتباه المستمر إلى العمل الصالح والاستعداد -للموت- قدر المستطاع.

٥١- لقد اختلفت آراء أهل العلم في تحديد عدد النفخات في يوم القيامة، قيل: هي أربع: الأولى نفخة الفناء، والثانية نفخة البعث، والثالثة نفخة الفزع والصعق، والرابعة نفخة القيام بين يدي رب العالمين، والله أعلم.

٥٢- تقرير صدق رسالات جميع الأنبياء والمرسلين من الله تعالى إلى البشر (من ذكر اسمه في القرآن ومن لم يذكر).

٥٤- تقرير العدل الإلهي يوم الحساب والجزاء ليطمئن كلُّ من يعمل أنه يُجزى بعمله ولو كان مثقال ذرة، وبرحمته وحسب مراده سبحانه. (إن كان خيراً فخير وإن كان شراً فسيكون حسابه عسيراً ما لم يتب في الدنيا).

إِنَّ أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ ٱلۡيَوۡمَ فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ
فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم
مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴿٥٨﴾ وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ
أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا
تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ
هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦١﴾ وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ
أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ
﴿٦٣﴾ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴿٦٤﴾ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ
عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ
يَكۡسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ
ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ
عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مُضِيّٗا وَلَا يَرۡجِعُونَ
﴿٦٧﴾ وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِۖ أَفَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٦٨﴾
وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓۚ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ
﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾

معاني الكلمات:

٥٥- أَصۡحَٰبَ ٱلۡجَنَّةِ: أهل الجنة.

٥٥- فِي شُغُلٖ فَٰكِهُونَ: في شغل عمَّا فيه أهل النار من عذاب وشقاء، وشغلهم الشاغل لهم هو النعيم المقيم في دار السلام

٥٦- عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ: سُرُرٍ ومقاعد منجَّدة مُريحة.

٥٧- وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ: ما يتمنون ويطلبون.

٥٨- سَلَٰمٞ قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ: سلامٌ بالقول من ربٍّ رحيم، أي: يسلِّم عليهم ربهم سبحانه وتعالى.

٥٩- وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ: انفردوا عن المؤمنين وانحازوا على جهة لتتميزوا عنهم.

٦٠- أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ: أَلَمْ أوصِكُم بترك عبادة الشيطان؟ وعبادة الشيطان هي طاعته.

٦١- وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ: تعبدونني وَحْدي وتطيعوني كما علَّمتكم عن طريق رسلي.

٦١- هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ: هذا الطريق الموصل إلى الجنة.

٦٢- وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًا: ولقد أضل الشيطان منكم يا بني آدم خلقًا كثيرًا.

٦٢- أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ: ألم تفهموا عداوة الشيطان لكم؟

٦٣- هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ: تقول لهم الملائكة: هذه جهنم التي كذبتم بها، وكنا نخوِّفكم منها.

٦٤- ٱصۡلَوۡهَا: ادخلوها يوم القيامة.

٦٥- ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ: نُخْرِسُهم عندما يقولون: والله ربنا ما كنا مشركين.

٦٦- وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ: أي: ولو أردْنا أن نعمي هؤلاء المشركين المجرمين -في الدنيا- لفعلنا، ولكنَّا لم نشأ ذلك رحمةً منا.

٦٦- فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ: تسابقوا على الطريق الحق، ولكن دون إبصار لنفاقهم فهم لا يهتدون.

٦٧- وَلَوۡ نَشَآءُ لَمَسَخۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمۡ: بدَّلنا خَلْقَهُم حجارةً أو قِردةً أو خنازير في أمكنتهم التي هم فيها.

٦٨- وَمَن نُّعَمِّرۡهُ نُنَكِّسۡهُ فِي ٱلۡخَلۡقِ: ومَنْ نُطِلْ عُمُره في الخلق فسيكون - بعد قوَّته - ضعيفًا عاجزًا (الحكمة من الله تعالى).

٦٨- أَفَلَا يَعۡقِلُونَ: ألا يعلمون أن القادر على ما ذكرنا لكم قادرٌ على بعثكم بعد موتكم.

٦٩- وَمَا عَلَّمۡنَٰهُ ٱلشِّعۡرَ: وما علَّمنا رسولَنا محمدًا ﷺ الشعرَ.

٦٩- وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ: وما يصلح له ولا يصح منه.

٦٩- إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ: ليس القرآن الذي يقرأه محمد ﷺ إلا ذكرًا أي عِظَةً تُظهِر الحقائق العلمية والشواهد الطبيعية وأخبار الأمم السابقة مبيناً للأحكام الواجب اتباعها.

٧٠- لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا: وهم المؤمنون.

٧٠- وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ: ويحق القول بالعذاب على الكافرين (بعد ثبات الدليل).

من هداية الآيات

٥٥-٥٦-٥٧- بيان أن الجنة هي جزاءٌ للمحسنين المؤمنين مع من صلح من أزواجهم وأهليهم وذرياتهم ومحبيهم.

٥٨- تقرير سلامِ الله تعالى على أهل الجنة ونظرِهم إلى وجهه الكريم سبحانه (وهذا من أسعد لحظات الانسان).

٥٩- تقرير المَعاد، وبيان أن الكفار سوف يتميزون بوجوههم الكالحة عند يوم الحساب بالآخرة.

٦٠- تقرير أن جهنم مثوى مَن لا يتدبر وأطاع الشيطانَ (بأقواله وأفعاله) ولم يتخذه عدوًّا.

٦٠- تأكيد عداوة الشيطان للإنسان وإضلاله له (بالغواية والوهم والتزيين للأعمال) عن الطريق المستقيم.

٦٥- يعجز الإنسان يوم القيامة عن كتمان شيء من سيِّئ أعماله وفاسدها (حيث تشهد جوارحه على أقواله وأعماله).

٦٧- من العقوبات التي يعاقِب الله بها في الدنيا المسخُ، كتبديل خلق الكفار حجارة أو قردة أو نحو ذلك.

٦٨- سوف يُرَدُّ الإنسانُ في الدنيا بعد القوة في شبابه إلى حالة الضعف والعجز البدني في آخر عمره (سنة الحياة) لحكمة أرادها الله تعالى.

٦٩- نفي أن يكون محمدٌ صلى الله عليه وسلم شاعرًا، وتقرير أن القرآن كله من عند الله أوحى به إلى رسوله، وهو ذِكرٌ مبين وأحكام واضحة بينه وعِظَةٌ للعالَمين، لا للمسلمين فقط.

٧٠- الحكمة من نزول القرآن هي أن يُنذِر (يرشد ويهدي) به الرسولُ الأحياءَ فيكون حجةً عليهم.

أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا
مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾
وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَٱتَّخَذُوا۟
مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ
نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ
إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾ أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَنَّا
خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا
مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾
قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ
﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم
مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
بِقَـٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾
إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾
فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

معاني الكلمات:

٧١- مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ: مما خلق اللهُ سبحانه وتعالى.

٧١- أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ: الأنعام هي الإبل والبقر والغنم والماعز.

٧٢- وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ: سخَّرناها لهم وجعلناهم قاهرين لها يتصرفون فيها.

٧٣- وَلَهُمْ فِيهَا مَنَـٰفِعُ وَمَشَارِبُ: المنافع كالصوف والوبَر والشعر، والمشارب: الألبان.

٧٣- أَفَلَا يَشْكُرُونَ: يوبِّخهم الله لعدم شكرهم اللهَ تعالى على هذه النعم بالإيمان والطاعة!

٧٤- وَٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً: أصنامًا يعبدونها زعمًا منهم أنها تنصرهم بشفاعتها لهم عند الله.

٧٥- لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ: لا تقدر تلك الأصنام على نصرهم في الدنيا، ولا على دفع العذاب عنهم في الآخرة.

٧٥- وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ: المشركون جندٌ حاضرون لتلك الآلهة؛ ينصرونها من أن يمَسَّها أحدٌ بسوء، فبدلَ أنْ تدفع السوءَ عنهم وتنصرهم ينصرونها هم.

٧٦- فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ: لا تأسف - يا محمد - لقولهم بأنك لستَ مُرسلًا وأنك شاعر وكاهن.

٧٦- إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ: إنهم ما يقولون ذلك إلا حسدًا، وهم يعلمون أنك رسولُ الله، وما جئت به هو الحق، وسوف نجزيهم بتكذيبهم لك وكفرِهم بنا وبلقائنا.

٧٧- أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَـٰنُ: ألَمْ يَرَ مُنكِروا البعث عند القيامة (كالعاص ابن وائل السهمي، وأُبَيِّ بن خلف).

٧٧- خَلَقْنَـٰهُ مِن نُّطْفَةٍ: خلقناه من منيٍّ إلى أن صَيَّرناه رجلًا قويًّا.

٧٧- هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ: شديد الخصومة لآيات الله وفي نفي البعث.

٧٨- وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا: إذ أخذ عظمًا وفتَّه أمام رسول الله وقال: أيحيي ربُّك هذا؟

٧٨- وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ: نسي أنه مخلوق من ماء مهين، وأصبح رجلًا يخاصم (فالقادر على الخلق الأول قادر على الإعادة).

٧٨- ٱلْعِظَـٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ: رميم أي: بالية.

٧٩- أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ: ابتدأ خلْقها.

٧٩- بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ: الله واسع العلم، محيطٌ بكل الخَلْق.

٨٠- مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا: أي: من شجر المرخ والعفار، يُحك أحدهما على الآخر فتشتعل النار.

٨٠- تُوقِدُونَ: من الوقود (إشعال النيران من الحطب).

٨١- أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم: يخلق بشرًا.. بلى؛ إنه سبحانه قادر على ذلك، وخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس.

٨١- ٱلْخَلَّـٰقُ ٱلْعَلِيمُ: لذي لا يُعْجِزُه خلْقٌ وابداع ما يشاء، وهو المُحيط علمًا بكل شيء، ظاهرِه وباطنِه، والذي لا تخفى عليه خافية.

٨٢- إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا: خَلْق أيِّ شيءٍ وإيجادَه.

٨٣- بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ: مُلْكُ كلِّ شيء في الكون، وزِيدت الواو والتاء للمبالغة في كبر الملك واتساعه.

٨٣- وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ: تُردُّون إلى الله بعد الموت للحساب، وذلك في الآخرة.

من هداية الآيات

٧١-٧٣- وجوب ذِكرِ النِّعَم وشكرِها بالاعتراف بفضل خالقها وصَرفِها في مَرضاة واهبِها الله سبحانه وحمدِه عليها.

٧٤-٧٥- بيان سُخفِ المشركين في عبادتهم للأصنام (وغيرها من المخلوقات كالبقر) التي يرجون نصرَها وهم من ينصرونها من أن يمَسَّها أحدٌ بسوء.

٧٦- ينبغي عدم الحزن والأسف على ما يقوله أعداء الدين عن الإسلام والمسلمين (بالسر والعلن)؛ لأن الله سوف يأخذهم بكذبهم لا محالة وهو يمهلهم ولا يهملهم سواءاً في الدنيا أو في الآخرة...

٧٩- تقرير وتأكيد عقيدة البعث والحساب والجزاء بإيراد البراهين القاطعة في عدة مواضع من القرآن الكريم.

٧٧-٨٢- مشروعية استعمال العقل في المجادلة في الدِّين.

٨٢- تقرير أن الله تعالى بيده وفي تصرفه وتحت قهره كلُّ الملكوت (الكون بما فيه)؛ فلذا لا يصح طلب شيء من غير المالك الحق، فغيره لا ملك له ونفاذ قراراته في الدنيا تبعاً لحكمته سبحانه.

٨٣- وجوب تنزيه الله تعالى عن العجز وعن الشريك والولد وسائر النقائص سبحانه.

VJ

التفسير الموضوعي لسورة «يس»

من كتاب «التفسير الموضوعي لسور القرآن الكريم» للشيخ محمد الغزالي ـــ رحمه الله.

﴿يسٓ ۝١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣﴾، قَسَمٌ بقوة البرهان على صدق الرسالة! فإن الدليل الصحيح ينطق بصحة الدعوى.

وهذا القرآن معجزة شاهدة بأن محمدًا حقٌّ، وأنه مرسل من لَدُن[1] الله بكتابٍ مستقيم الهداية، مُنَزَّهٍ عن الافتعال[2] والانحراف، ﴿تَنزِيلَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوۡمٗا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمۡ فَهُمۡ غَٰفِلُونَ ۝٦﴾، والمعجزات المادية لا ترتفع إلى مستوى الإنارة العقلية، والذين ورثوا العُكوفَ[3] على الأصنام لا تعظهم[4] عن عبادتها عصا موسى ولا طِبُّ عيسى، وإنما يشفيهم من عَماهم كتابٌ يحرك عقولَهم، ويُزيح عنها الأوهامَ على شرط أن يتحركوا ويعُوا[5]. وهناك ناسٌ يعيشون في عالم السدود والقيود سجناءَ وراء جُدرانٍ لا يرون فيها شيئًا، ﴿إِنَّا جَعَلۡنَا فِيٓ أَعۡنَٰقِهِمۡ أَغۡلَٰلٗا فَهِيَ إِلَى ٱلۡأَذۡقَانِ فَهُم مُّقۡمَحُونَ ۝٨﴾، والمُقمَح مَن استقرَّ القيدُ تحت ذقنه، فاعْوَجَّ رأسُه إلى فوق، فما يحسن الرؤية، ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا فَأَغۡشَيۡنَٰهُمۡ فَهُمۡ لَا يُبۡصِرُونَ ۝٩﴾، والتقليد الأعمى يخلق أجيالًا من هذا النوع المتحجِّر لا يصلح بشيء!! ولا تُجدي معه النُّذُرُ[6]،

١- لدن: ظرف زمان ومكان بمعنى «عند».

٢- منزه عن الافتعال: محفوظ ومصان وبعيد عن الخطأ والاختلاف (أي من صنع بشر).

٣- العكوف: الالتزام والتفرغ لها.

٤- تعظهم: من العظة ومن النصيحة، وهنا بمعنى تبعدهم بعد تذكيرهم بالعواقب.

٥- يعوا: من الوعي، أي: ما يجب معرفته والعمل بهذه المعرفة.

٦- النذر: هنا بمعنى الإنذار أي: الإشعار بوقوع أمر ما لأخذ الحيطة والحذر.

﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ ﴾.

وسورة «يسٓ» – وتسمَّى قلب القرآن – يمكن أن نقول إنها مكوَّنةٌ من مقدمةٍ وثلاثة فُصول:

أما المقدمة فهي – كما رأيت – حديثٌ عن القرآن ومُستمِعِيه ورَادِّيهِ[1] أو مُؤَيِّدِيهِ).

وأما الفصول الثلاثة: فهي أدلة منوَّعة على صدق ما دعا إليه، أولها: دليل تاريخي تضمَّن قصةً موجَزةً عن قرية تُشبه مكةَ، نَاوَأَتِ[2] المرسلين وضاقتْ بالوحي[3]، وثانيها: دليل عقليٌّ فتح الأنظارَ على الكون عُلوِه وسُفلِه[4]، واكتشف من نظامه وانسجامه ما يدل على عظمة خالقه، والدليل الثالث: تربوي يأخذ من حقيقة البعث والجزاء ما يكبح[5] الغرائزَ ويزيح الغفلة[6]، ويسوق النفوس[7] إلى الحق بمشاعر الرغبة والرهبة.

ومن المقدمة والأدلة الثلاثة تتكون سورة «يسٓ» وما دعت إليه من توحيد الله، والتأملِ في ملكوته[8]، والاستعداد للقائه للخلود في جواره.

١- راديه: رافضيه.

٢- ناوأت: بالغت في البعد والخلاف.

٣- الوحي: أي الأنباء الإلهية التي أرسلت للأنبياء والناس عن طريق الملائكة.

٤- سفله: من الأسفل، أي: منخفضاته.

٥- يكبح: يوقف أو يقلل من السرعة.

٦- يزيح الغفلة: يبعد ويزيل آفة الإهمال من غير نسيان.

٧- يسوق النفوس: يقود ويسير الأحياء البشرية.

٨- ملكوته: عزه وسلطانه وعظمته.

ويبـدأ الدليل الأول بقول تعـالى: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿١٣﴾﴾، ولا يعنينـا اسـمُ القرية، وإنما مـا وقع فيها من أحداث.

إن أعداء المرسلين يَحْسَبونَهم جاؤوا لاسْتِلاب[1] سلطانهم وأخذ ما بأيديهم؛ ولذلك سُرعانَ ما تبَّروا بهم وتَهدَّدُوهم وتشـاءموا من مَقْدَمِهم، ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۡۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴿١٩﴾﴾، ومنـذُ نـوحٍ وأعداءُ الأنبياءِ يَحْسَـبُونهم طُلَّابَ رئاسـة، ويظنـون دعوتَهم شَرَكًا[2] لمآرِبَ خاصة[3]، والدليل قالوا لهم ما قيل لنوح: ﴿مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأۡيِۖ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾﴾ هـود، لكن اللهَ يخلق رجالًا يعشقون الحقيقة، ويُضحُّون من أجلها، ويعانون في سبيلها.

وفي هذه القرية أقبل رجلٌ من بَعيد ينصح الناسَ مؤكِّدًا أمرين:

١- أن هؤلاء الرُّسـلَ الثلاثة أناسٌ مُتَجَرِّدُون[4] لا يَنْشُدُون جَاهًا[5] ولا مالًا.

٢- وأن الله الـذي يدعـون إليه هو الحـقُّ المبين، وما عـداه وَهْمٌ لا

١- استلاب: انتزاع، أي: ما أُخِذ قهراً.

٢- شركاً: كميناً، مكيدة، مؤامرة.

٣- مآرب خاصة: غايات وحاجات ونوايا لمصلحة ما.

٤- متجردون: غير متحيزين (متحررون).

٥- ينشدون جاهاً: يطلبون شرفاً ومكانة ومنزلة.

وجود له، يضر ولا ينفع، ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٢١ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٢﴾. لكن هذا الناصحَ الأمين فَشِل في إقناع الضالين. ولم تذكر القصةُ أَقُتِل أم مات -بعض العلماء قالوا أنهم قتلوه-، لكنه بعدما انتقل إلى ربه ورأى ما أُعِدَّ له من كرامة، قال - حزينًا على حالهم -: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾. وأَنَّى لقومه أن يثوبوا[١] إلى رشدهم؟ فماذا حدث؟ هل عَبَّأَتِ[٢] السماءُ قُواها لتُعاقبهم على كفرهم؟ أَمْرُهُم من ذلك أهون: ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ٢٩﴾، إن غُرورَ الناسِ فاجِعُ العُقْبى[٣]، وما يَلْقَونَ به الرسلَ - من إهانة وتكذيب - فادِحُ الثمَنِ[٤]، وتَشتدُّ العقوبةُ مع كِبَرِ الجريمة؛ ولذلك قال جل شأنُه: ﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠ أَلَمۡ يَرَوۡاْ كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٣١﴾.

إن مستقبل الحضارة التي تُظِلُّنا[٥] مُقْلِقٌ؛ لأنها ترفض ذكرَ الله، وتنسى الإعدادَ للقائه، وهي تبحث عن حَتْفِها[٦] بظِلْفِها[٧].

١- يثوبوا: يرجعوا ويندموا على ما فعلوه.

٢- عبأت: جهزت وهيأت.

٣- فاجع العقبى: الخاتمة والنهاية المؤلمة الموجعة.

٤- فادح الثمن: ضرره كبير وشديد.

٥- تظلنا: التي نقيم في كنفها فيها.

٦- حتفها: موتها.

٧- ظلفها: الظلف من الشاة والبقر كالظفر من الإنسان (وهنا شبه الحضارة بالأنعام التي لا تعقل).

وفي الفصل الثاني من السورة المباركة سورة «يس» نجدُ بضعةَ أدلَّةٍ على عظمة الله واستحقاقِه كلَّ كمالٍ، أولُ هذه الأدلة قولُه جل شأنه: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾﴾، إننا نعطي الأرضَ أسوأَ ما لدينا وتعطينا أحسنَ ما عندها! ويقول الفلاحون: إنَّ أَجْودَ البطيخ ما كان سَمادَه خُرْءُ الحَمام[1]! وفَضَلاتُ البشرِ تُساقُ إلى الحقول، فإذا هي تُنتِجُ كِيزانَ الذُّرة وسَنابلَ القمح، وعِيدان القُطن والكتَّان، وصُنُوفًا لا حصر لها من الفواكه والثمار.

من الذي أخرج من الحَمَأِ المَسْنُون[2] هذه الخيراتِ السَّنِيَّةَ[3]؟ ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

ونصعد من الأرض إلى السماء في إطلالة خاطفة على نظامها الفلكي! إن الظلامَ يَسُودُ أَرجاءَ الكون، وأشعةَ الشمس تتحوَّلُ إلى مَلاءَةٍ[4] بيضاء عندما تستقبلها الأرضُ، فإذا جمع اللهُ الأشعةَ عادت الظُّلمةُ الأولى؛ ولذلك جاء التعبير عن الليل والنهار بهذه الألفاظ ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

وربما بدا للناس أن الشمسَ والقمر في مَدارٍ واحد، وهذا خطأٌ؛ فلِكِلَيهما مَدارُهُ، ولن يلتقيا، وإني أتصوَّر أحيانًا هذه الكواكب، فأتساءل:

١- خرء الحمام: فضلات الحمام.

٢- الحمأ المسنون: الطين اليابس المتخمر.

٣- الخيرات السنية: النعم والموارد الطيبة النافعة ذات الرفعة والتقدير.

٤- الملاءة: الغطاء.

ما يمسكها في فضائها؟ ما يدفعها في مَجراها وبأيِّ طاقة تسير؟ مَنْ أَحكمَ نَظْمَهَا[1]، وهي أُلُوفُ الأُلُوف، فضَبَطَ مكانَهَا وزمانها وشروقها وغروبها، ونحن البشرُ في زاوية من الكون الكبير نَرْقُبُ[2] آياتِ ربِّنا، ومنَّا المؤمنُ ومنَّا الكافر!

نعودُ مرَّةً أُخرى إلى الأرض لنَرْمُقَ[3] البحار وما يسبحُ فيها من جَوَارٍ[4] كالأعلام، ونتلو قولَه تعالى: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾، إنَّ البحر أكبرُ من البَرِّ أربعَ مرات، وعالَمُهُ أوسعُ مساحةً من عالَمِنَا، وقد عرفْنا أنَّ للأجسام الطافيةِ فيه قانونًا مَضْبوطًا، فهي تجري أو تغوص بقَدَرٍ، وعندما يتعرَّضُ الناسُ لأخطاره فلا مُغِيثَ لهم إلا اللهُ، فهل يذكرون ذلك عندما يأمنون؟

هذه الأدلةُ الثلاثة السابقةُ تَبِعَتْها أدلَّةٌ أخرى في نهايات السورة، مثل قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَـٰمًا فَهُمْ لَهَا مَـٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَـٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾﴾.

إنِّي أنظرُ إلى الجزَّارِين في الأسواق قد علَّقوا في دَكاكينهم قُطعانًا من الغنم والبقر.. أرى الأُلوفَ تلتَهِمُها[5]، وهي لا تدري شيئًا عمَّن

١- أحكم نظمها: أتقن وضبط خلقها وتنظيمها.

٢- نرقب: نتوقع ونلاحظ ونهتم.

٣- نرمق: ننظر ونتبع بالبصر.

٤- جَوار: السفن التي تجري في البحر.

٥- تلتهمها: تأكلها إلى آخرها (تبتلع).

سخَّرها[١]! ما هذه الغفلة عن الله؟!

والفصلُ الأخير من تفسير السورة يتضمَّن حديثًا عن البعث والجزاء، وهما من عُمُدِ[٢] التربية الدينية، ولكن الحضارةَ الحديثةَ تُغْفِلُهُما وتَسْتَهْجِن[٣] الحديثَ عنهما، وتَخَيُّلُ للناس أن مَصيرَهم لا يعدو مَصَايِرَ الدَّوابِّ النافِقَة[٤]، لا حِسَّ ولا حِسَاب.

ويبدو أنه كما تجيء المنِيَّةُ[٥] بغتةً[٦] تقوم الساعةُ[٧] بغتةً دون تَرَقُّبٍ من الناس أو مُحاذَرَةٍ[٨]!! وهذا ما تُشير إليه الآيات: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾، أي أنها تقع وهم مشغولون في أسواقهم ومَجامِعِهم[٩]، كما ذكر الحديث: «لَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلَانِ ثَوْبًا بَيْنَهُمَا فَلَا يَتَبَايَعَانِهِ وَلَا يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ انْصَرَفَ الرَّجُل بِلَبَنِ لَقْحَتِهِ [ناقته] فَلَا يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أَكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ [فمه] فَلَا يَطْعَمُها» رواه البخاري.

١- سخرها: سلطها للخدمة والمنفعة (جعلها طائعة).

٢- عمد: جمع عمود، وهو الأمر الذي لا يستقيم الشأن إلا به.

٣- تستهجن: ترفض وتستنكر.

٤- الدواب النافقة: البهائم الميتة.

٥- المنية: الموت.

٦- بغتة: فجأة.

٧- الساعة: يوم القيامة.

٨- محاذرة: الخوف أو أخذ الحذر من مكروه.

٩- مجامعهم: أماكن تجمعاتهم.

ووقـوعُ السـاعة على هـذا النَحوِ لا يعطـي فرصةً لعمـل شيء ولا التوصيـةِ بـشيء، ثم يُنـشَرُ العباد إلى ربهم للحسـاب بعد أن تَهْمَـدَ[1] كلُّ حركـة على ظهر الأرض، ويواجه الناس ما قدَّموا، ﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾. وفي الآيـات وصفٌ رائـق[2] لأهل الجنة يشرح ما يَنْعَمُون به ويُخْبَرُون[3] فيه.

أمـا أهل النـار فيسـمعون التبكيت[4] على ما أسـلفوا، قـال تعالى: ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا۟ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾﴾. ومع أن أساس هذا الفصل هو البعث والجزاء، فقـد حوى معاني أخرى مـن دلائل العظمة الإلهيـة، ومظاهر النعمة التي خُصَّ بها بنو آدم.

ثـم عاد الكلام مـرة ثانية إلى أدلـة البعث في صورة حـوار طريف: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾.

١- تهمد: تهدأ وتسكن وتسكت.

٢- رائق: صافٍ خالص.

٣- يجبرون: يسرون ويكرمون بالنعم.

٤- التبكيت: التوبيخ أو التصنيف.

إن الذي بدأ الخلقَ أوَّلًا لا يُعْيِيهِ[1] أن يعيد الخلقَ كَرَّةً[2] أخرى!!

ثم لفت القرآنُ نظرنا إلى حقيقة علمية في عناصر الكون، إننا نتنفس فنأخذ من الهواء والأوكسجين، ثم نرده «كربونًا»، ويتنفس النبات فيأخذ الكربون ويرسل «الأوكسجين» ويتراكم غاز الكربون الذي يأخذه النبات ويتجمد في كيانه جذوعًا وأغصانًا وأوراقًا لا تلبث أن تكون حطبًا محترقًا، ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

إن هذه الوظائف الطبيعية من آيات الله الذي يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي، وهذا السلوك ظاهر في النبات الذي يخرج من التربة حيًّا وسط عناصرها مُدَّةً[3]، ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

*****

١- يعييه: يتعبه.

٢- كرة: مرة.

٣- مدة: خلال مقدار من الزمن.

من خواطر ومحاضرات الدكتور محمد راتب النابلسي
في تفسير سورة «يس»

﴿يٰسٓ ۝١﴾، قال بعض المفسِّرين: إن ﴿يٰسٓ﴾ اسمٌ للنبي ﷺ، وقد فسَّره بعضهم بـ (سليم من العيوب)، أي إن النبي معصومٌ عن كلِّ خطأ، فهو سليم في قلبه، سليم في قوله، سليم في أفعاله.

وقيل: ﴿يٰسٓ﴾ هي نوع من أنواع الإعجاز؛ حيث إن هذه الحروف التي تُفتَتَح بها بعضُ السور هي حروف لغة العرب، وقد عجزوا أن يصنعوا منها نظمًا كنظم القرآن.

وقيل: الحروف المقطَّعة في أوائل بعض السوَر اللهُ أعلمُ بمُراده منها!

﴿وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٣﴾

أقسم اللهُ عز وجل بالقرآن الكريم، ووصفه هنا بأنه حكيمٌ، **و(حكيم) كلمة لها عدة مَعانٍ، منها:**

١ - مُحْكَم: أي مُحكَم في نَظْمِهِ، مُحْكَمٌ في معانيه، مُحْكَمٌ في بنائه، مُحْكَمٌ في مضمونه، مُحْكَمٌ في شكله، مُحْكَمٌ في فحواه، مُحْكَمٌ لأنه من عند الحكيم: ﴿الٓرۚ كِتَٰبٌ أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ مِن لَّدُنۡ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١﴾ هود. هذا المعنى الأول.

٢ - كتاب ينطق بالحكمة، وما (الحكمة)؟ من باب التمثيل والتقريب: لو أنَّ إنسانًا عنده آلةٌ يعاني من بعض المشكلات في تشغيلها، ثم قرأ بعد حينٍ تعليماتِ صانع الآلة، فقال: ليتني قرأتُ هذا الكتاب؛ لو

أنني قرأتُ هذا الكتاب لتلافيت كلَّ متاعبي.

إذًا.. الحكمةُ هي حقيقةٌ لو أخذتَ بها لسَعِدْتَ في الدنيا والآخرة.. الإنسانُ أحيانًا يكتشف الحقائقَ من خلال التجارِب، وقد يدفع الثمن باهظًا، فكثير من الناسِ يقعون في شرِّ أعمالهم، ولكنْ بعد فوات الأوان.

فمثلاً الإنسان في مُقْتَبَلِ حياته قد يظنُّ أن المال كلُّ شيء، وفي كُهولته يظن المالَ شيئًا من الأشياء، لكن قُبَيلَ الموت يرى أن المال ليس بشيء، ويرى أن طاعة الله هي كلُّ شيء، ولو عرف الإنسانُ أن طاعة الله هي كلُّ شيء في مُقْتَبَل حياته لسَعِد في الدنيا والآخرة، المشكلةُ مشكلةُ وقت، عند الموت لابد من كشف الحقائق، ﴿فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾﴾ ق، القضية أن تعرف الحقائق في الوقت المناسب، أن تعرِفها في مُقْتَبَل الحياة، قبل أن تتزوج، قبل أن تختار مِهنَتَك، وقبل أن تختار طريقك؛ لأنك إذا عرفت الحقائق آثرت طاعة الله على كل شيء.

إذاً القرآنُ مليءٌ بالحِكَم، فإذا قرأتَ القرآنَ وكشفتَ الحِكَم والقواعد والثوابت والقوانين في الوقت المناسب وأخذتَ بها - سعدتَ في الدنيا والآخرة، وإن توهَّمت شيئًا خلاف ذلك كشفتَ - بعد فَوات الأوان - أنك في خطأ كبير ووهم كبير.

٣- ذو حكمة في مخاطبة الإنسان، يُخاطب عقلَه تارةً، ويُخاطب قلبَه تارة، ويخاطب عقلَه وقلبَه معًا تارة أخرى، يذكُر له أخبارَ الأقوام السابقة ليستخلِص العِبَر والحقائق، يذكُر ما كان قبل الحياة، وما سيكون بعد المماتِ، يذكُر الدارَ الآخِرة بمَشاهدَ رائعةٍ، مشاهدَ محبَّبَةٍ عن أهل الجنة،

ومشـاهد مُخيفة عن أهل النار، يذكُر الآياتِ الكونيـة، فهو مُحكَمٌ في نظمه وفي معانيـه، ذو حِكَـمٍ تنفعـك في حياتك وفي سـعادتك، وهو ذو حكمة في التنويـع في مخاطبة الإنسـان وفي الترَفُّقِ به، في الإيجاز تارة وفي الإطناب -الأكثار- تارة أخرى، في التفاصيل عن أخبار الأمم السابقة، فيما سيكون، هذا كله متعلق بالحكمة.

ربنا عز وجل يُقْسِم بهذا القرآن الحكيم ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾

الدليل القاطع على أن النبيَّ محمدًا عليه الصلاة والسـلام رسـولٌ - هو ذلك الكتاب الذي جاء به. حينما يلقي سـيدُنا موسـى العصا فتنقلبُ ثعبانًـا مُبينًا، أليس هذا دليلًا قاطعًا على أن هذا الإنسـان هو رسـول الله؟ بـلى؛ لأنه جاء بشيء يعجـز عنه البشر، وكذلـك نبيُّنا محمـدٌ عليه الصلاة والسـلام جاء بهذا القرآن -وحي من عنـد الله-، فالقرآن الكريم والقرآن الحكيـم والقرآن المُعجِز الذي لا يأتيه الباطـلُ من بين يديه ولا من خَلفه، والذي إعجازُه مسـتمرٌّ إلى يوم القيامة لقوله تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ...﴾ (فصلت: ٥٣).

إذًا النبيُّ محمدٌ عليه الصلاة والسلام هو رسول الله، جاء بالحق من عند الله، عرَّفَنا بحقيقة الكون، وحقيقة الدنيا، وحقيقة الإنسان، وما مهمة الإنسان في الدنيا؟ أين كان؟ وإلى أين المصير؟ لكنْ لا يكفي أن تكون مهمة النبي عليه الصلاة والسلام مهمةً إبلاغيَّة أو علميَّة أو كَلاميَّة فحسب، مهمَّتُه الكبرى أن يكون قُدوة، يقنعك بلسانه وبأفعاله، وهذه حقيقةٌ مهمَّة جدًّا، فما قيمة الدعوة إلى الله إن لم تكن على أساسٍ من التطبيق؟ ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣﴾ فصلت، فمهمـة النبـي كقدوة

حسـنة وأسوة حسـنة لا تقِلُّ عن مهمته كمبلِّغ وكرسـول؛ لذلك جاء في هـذه الآية هذا الجمع بينهـما: ﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾، ويكفينـا قـولُ الله عـز وجـل: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ ...﴾ (هـود: ١١٢)، أي: إن الله أمـر المؤمنين بما أمر به المرسـلين، هذا يعني أن الذي يقوله عامةُ الناس: يا أخي أنا لستُ نبيًّا، مَنْ قال إنك نبيٌّ؟! إنـك مؤمنٌ، إذًا أنت مأمورٌ بالاسـتقامة على أمـر الله عز وجل، من حيث الأعـمال الصالحة افعل منها قدر اسـتطاعتك، لكن من حيث الاسـتقامة والالتـزام لا بدَّ مـن أن تلتزم أمـر الله عز وجل، حتى تسـتحق أن تكون مؤمنًا مُخَاطَبًا كما خوطب النبيُّ محمد ﷺ.

الإنسـان عادةً في ذهنه شـخصٌ يُعظِّمه، فإن كان هذا الشخص من أهل الدنيا قَلَّدَهُ في انغماسـه في الدنيـا، وإن كان هذا المَثَلُ الأعلى هو النبي محمد عليه الصلاة والسـلام قلَّده في أفعالـه، وفي أقواله، كيف يدخل على أهلـه؟ كيـف كان متواضعًا؟ كيف كان حليمًا؟ كيـف كان عَذْبَ الروح؟ كيـف كانت مواعيدُه؟ كيف كان كلامه؟ كيـف كان حياؤه؟ كيف كانت شجاعته؟ يجب أن تقرأ أقوال النبي حتى تأخذَ بها مصدرًا تشريعيًّا، ويجب أن تأخذ بأفعال النبي حتى تقتدي به.

﴿تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥﴾

هـذا القرآن من عند مَنْ؟ مِن عند خالق الكـون، العزيز الرحيم، و (العزيز) كلمة لها عدةُ مَعانٍ، منها:

١. الذي لا يُنال جانبه.

٢. الذي يحتاجه كلُّ شيء في كلِّ شيء، ويصعب الوصول إليه.

٣. الأول الذي لا ثاني له.

و (الرحيم): الذي يرحم عبادَه دائمًا.

فالعزيز تشير إلى صفة العظمة، والرحمة تشير إلى صفة الكمال.

﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ ﴾

في بعض التفاسير توجيهٌ لطيف جدًّا لهذه الآية: لتنذر قومًا إنذارًا كما أُنذِر آباؤُهم، هذه الـ (ما) موصولة، وليست نافية، لأن الله سبحانه وتعالى رحيم، لا يدَعُ عبادَه من دون إنذار، فعبادُه يتلقَّون توجيهاتِهم من الله بشكل مستمر.

﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا ﴾، أي أهل مكة. ﴿ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾ غافلون عن الله عز وجل، غافلون عما ينتظرهم من عذاب أليم، غافلون عن هذا التشريع العظيم.

﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ ﴾

ربُّنا سبحانه وتعالى له سُنن في الحياة، وله قوانين في هذا الكون، وهذه السنن التي سنَّها اللهُ عز وجل تقتضي أنه من يكذِّب برسالات الله عز وجل فإنه يشقى في الدنيا والآخرة.

لقد حَقَّتْ هذه القاعدةُ عليهم، أي: انطبقتْ عليهم. هذا المعنى الذي يُفْهم من هذه الآية، لا كما يقول بعضهم: إن هذا الإنسان خُلِق كافرًا، وقد حق القولُ عليهم أن يكونوا كفَّارًا، ما معنى إنزال هذا الكتاب (القرآن) إذًا؟! إذا كان هذا الكافرُ كَفَرَ لأن اللهَ قدَّر عليه الكفرَ وانتهى الأمر، ما معنى إبلاغه؟!

إن كلَّ مَن يكذِّب برسالات الله عز وجل ولا يعبأ بها، وينطلق في الحياة وَفْقَ شهواته وأهوائه ونزواته سيشقى في الدنيا والآخرة، سيهلك في الدنيا والآخرة؛ فمَن انحرف عن منهج الله عز وجل وجب له العقاب، ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾﴾ (طه)، و ﴿كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾﴾ يونس.

لو أنَّك استنبطتَ القواعدَ التي قعَّدَها اللهُ في القرآن الكريم لرأيتها تنطبق على هؤلاء، لو أن إنسانًا ارتكب جريمةً بقصد وتصميم وإصرار وسابق تصوُّرٍ، وجاء القاضي ليحاكمه، فقال له: المادة العاشرة من قانون العقوبات تنطبق عليك.. إذًا لابد من حُكمٍ بموجبها.

لقد حقَّ القولُ عليهم أنهم إذا اتبعوا الشهواتِ لا يؤمنون، إذا انحرفوا عن منهج الله لا يؤمنون، إذا اتبعوا الشهوات ينحازون إلى شهواتهم ويُعرِضُون عن الحق، فإما أن تصدِّق برسالات الله عز وجل فتَسعَدَ في الدنيا والآخرة، وإمَّا أنْ تُكذِّبها فتدفعَ الثمن باهظًا.

الله عز وجل يصوِّر لنا حالَ هذا الكافر الذي أعرض عن الله عز وجل، وجعل إلهه هواه والشهوةَ قدوةً له: ﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾﴾

الأغلالُ وُضِعت في أيديهم، وسُحِبتْ أيديهم إلى أعناقهم، وحينما سُحِبت إلى أعناقهم رُفِعتْ رؤوسُهم، وغَضُّوا أبصارَهم، إنسانٌ لا يستطيع أن يرى أمامَه، مُقَيَّدٌ عن أنْ يفعل شيئًا، فالشهوات كالأغلال، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ وَعَبْدُ

الدِّرْهَمِ[١] وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ[٢]، إِنْ أُعْطِيَ رَضِيَ وَإِنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ[٣] وَإِذَا شِيكَ فَلا انْتَقَشَ[٤]، طُوبَى[٥] لِعَبْدٍ آخِذٍ بِعِنَانِ فَرَسِهِ[٦] فِي سَبِيلِ اللهِ» البخاري عن أبي هريرة.

فالشهوات أغلالٌ -أطواق وقيود-، الغارقون في الزنى، في شرب الخمر، في المخدرات، في حب المال، في حب النساء، هذه الشهوات جعلتْ منهم عبيدًا مقيَّدين، عبيدًا لشهواتهم، فالإنسان إن لم يمتلئ قلبُه حبًّا لله، سوف يمتلئ شهوةً خبيثة، هذا قانون الله عز وجل.

﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿٩﴾ ﴾

ثم جعل اللهُ سدًّا أمامَهم يَحُول بينهم وبين سعادة الدنيا، وسدًّا خلفَهم يَحُول بينهم وبين سعادة الآخرة، بالإضافة إلى أنهم مُقيَّدون لا يستطيعون حراكًا، ورؤيةُ شهوتِهم أَعْمَتْ أبصارَهم، وقيدتْ أفعالَهم، بالإضافة إلى ذلك ﴿ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا ﴾، أراد الدنيا فشقي بها، وفاتته الآخرةُ، ضيَّع الدنيا والآخرة، سُدَّ أمامهم فعاشوا في الدنيا أشقياء، وحينما رُدُّوا إلى الله مولاهم الحق رأوا مصيرَهم المَحتومَ في جهنم وبئس المصير.

١- الدرهم: ويقصد به الذي يتعلق قلبه بالمال.

٢- الخميصة: الثوب الفاخر. وعبد الخميصة هو الذي لا يصلي من أجل الحفاظ على أناقته.

٣- انتكس: حزن وساء أمره.

٤- وإذا شيك فلا انتقش: مثل عربي معناه إذا دخلت شوكة لا أخرجها الله أي لم تسحب.

٥- طوبى: كل مستطاب في الجنة من الخير وحسن المآل.

٦- عنان فرسه: العنان هو اللجام الذي يمسك فيه الفرس والمقصود للجهاد.

﴿ وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ١٠ ﴾

أي: أنت يا محمد تُنذِر مَنْ؟ إنما تنذر من اتبع الذكر -القرآن-.

هـذا الذي قرأ القرآنَ فأحلَّ حلالَه وحرَّم حرامَه، اتَّعظَ بآياته، اعتبر بأخباره، هـؤلاء ﴿ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَتۡلُونَهُۥ حَقَّ تِلَاوَتِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡمِنُونَ بِهِۦۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ١٢١ ﴾ (البقرة)، هذا الذي فهمه، هذا الذي فهـم معانيه، هذا الذي طبَّقه، قرأ وفهِـم وتدبَّر وطبَّق، هذا معنى من اتبع الذكـر، هذا الذي جعـل القرآن إمامًا له، مَنْ جعلـه أمامَه، قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه ساقه إلى النار.

﴿ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ١١ ﴾

المؤمـنُ دائـمًا يقف عند أمرِ الله عـز وجل، ما أمـرُ الله عز وجل؟ ما نَهيُـهُ؟ ماذا يريد؟ ما الحكم الشرعي؟... إنـما تُنذر من اتبع الذكر، قبل أن تسـافر، قبل أن تُتاجر، قبل أن تتعيَّن في وظيفـة... هل هذا يرضي اللهَ عز وجـل؟ هـل فيه نفعٌ للمسـلمين أم فيه إيذاءٌ لهم؟ قبـلَ أنْ تُتاجر هل هذه التجارةُ مشروعةٌ أم غير مشروعة؟ وقبل أن تمارِس هذه التجارةَ المشروعة هـل في هذه المُمارسـة انحـرافٌ عن الحـقِّ أمْ اتبـاعٌ له؟ إنما تنـذر من اتبع الذكر، فعلامة المؤمن أنه يتَّبع ما في القرآن الكريم، هذا الإنسان إذا أَنذَرتَهُ ارْتَعَدَتْ فَرائِصُهُ، هذا الإنسـانُ إذا أَنذَرتَهُ بادر إلى التوبة، هذا الإنسان إذا أَنذَرتَهُ استجاب لك.

الله عـز وجل غاب عن أبصارِنـا، وغاب عن حواسِّـنا، ولكنَّ هذا الكونَ يدلُّ عليه، إذا فكَّر الانسـانُ في الكون عرف اللهَ عز وجل، وخَشِيه في الغيب دون أن يراه.

لا بدَّ للإنسان من أن يموت؛ لأن كلَّ مخلوقٍ يموت، ولا يبقى إلا ذو العزة والجبروت، والليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر، والعمر مهما طال فلا بد من نزول القبر.

أنت أيها الإنسان، إما أن تستجيب أو لا تستجيب، إمَّا أن تتبع هذا الهُدى أو أن تتبع الشهوة، إمَّا أن تستجيب لله عز وجل، أو أن تستجيب للطواغيت من الإنس والجن، من عرف الله عز وجل وأناب إليه أحياه الله بعد الموت، ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُۥ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا ۚ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾﴾ (الأنعام)، بعضُهم فسَّر هذه الآية بأن الإنسان إذا كان ميتًا قَلبُهُ، ميتةً نفسُه وعرف اللهَ عز وجل وأناب إليه فسيُحييه اللهُ بعدَ الموت.

كلُّ أقوالك مسجَّلةٌ، كلُّ أفعالك مسجَّلةٌ، كلُّ نواياك مكشوفةٌ عند الله عز وجل، كلُّ أسرارِكَ مُعْلَنَةٌ، كلُّ أفعالك مَمْهُورَة، هذا هو المرقوم، كتاب مرقوم: أي مُرَقَّم، فكلُّ مخالفةٍ مع صُورتها، كأنَّ الإنسانَ يوم القيامة تُعرَض عليه أعماله وكأنها شريط سينمائي، أحيانًا يُصَوَّر المذنبُ في الدنيا وهو لا يدري، فإذا دخل للتحقيق، عرضوا عليه فيلمًا عن كلِّ حركاته المشبوهة، فماذا يفعل؟ يسكت، لا يستطيع النكران! كذلك الإنسان يوم القيامة، فأنت إما أن تؤمن وإما ألا تؤمن، إما أن تتبع الهدى وإما أن تتبع الضلال، إما أن تكون الشهوة رائدك، وإما أن يكون الحق رائدك.

﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ ...﴾ (يس: ١٢)

ما قدموا من أعمال قبل أن يموتوا، ماذا فعلت؟ ماذا قدمت لآخرتك؟ ما العمل الذي ادَّخرتَهُ للقاء الله عز وجل؟ إذا قال لك الله: يا عبدي ماذا فعلتَ لي في الدنيا؟ أعطيتُك مالًا فماذا صنعتَ فيه؟ أعطيتُك

جاهًا فماذا فعلت به؟ أعطيتك علمًا هل نشرتَه؟ كيف أفنيت شبابك؟ كيف أمضيت عمرك؟ ماذا عملت بما علمت؟ كيف اكتسبت مالك وكيف أنفقته؟ هكذا قال عليه الصلاة والسلام: «لا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُسْأَلَ عَنْ أَرْبَعٍ، عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ وَعَنْ جَسَدِهِ فِيمَا أَبْلاهُ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَا وَضَعَهُ؟ وَعَنْ عِلْمِهِ مَاذَا عَمِلَ فِيهِ؟» الدارمي عن معاذ بن جبل.

أيُّ عمل يفعله الإنسان سيحاسب على آثاره الإيجابية أو السلبية.. شيء مخيف! أي عمل فاسد، كلُّ مَن فعله، كلُّ مَن اقتدى به، كلُّ من قلَّده إلى يوم القيامة!! هذا من آثار العمل. أضرب لكم مثلًا: رجل كان مسافرًا من مكان إلى مكان، في الطريق اضْطُرَّ إلى إصلاح مركبته (سيارته)، صاحب هذا الكراج لم يتقِن هذا العمل، في الطريق انقطعت مركبَتُه، وكان الجوُّ حارًّا، أصابته ضربةُ شمس فمات، يُحاسَب هذا الإنسانُ على إهماله بحسب الآية، يحاسب على أن إهمالَه سببُ موتِ هذا الإنسان، ضع هذه الحقيقة في ذهنك، أيُّ عمل تفعله ستحاسب لا عنه بالذات، لا عن حجمه، بل على آثاره أيضًا، الخَيِّرةِ أو الشريرة، الإيجابية أو السلبية.

من أفسد عقيدة الناس وأخلاقهم تحمَّل وِزر من اتَّبعه إلى يوم القيامة.. قال تعالى: ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَآ أَحْيَا ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ...﴾ (المائدة: ٣٢).

أخطر ما في هذه الآية أنك تُحاسَب لا على المعصية فقط، بل على المعصية وآثارِها، على الانحرافِ وآثارِه، الآية واضحة جدًّا، فقَبْلَ أنْ

تَسُــنَّ سنةً سيئةً وقبل أن تنحرف انحرافًا بسيطًا تذكَّر أنك أبٌ أو معلِّم أو صاحــب متْجر أو صاحب معمل أو موظف كبير، يكفي أن الإنســان إذا قصَّر في أداء طاعةِ الله عز وجل على مرأى من أولاده فإنهم سيتَّبِعونه، فمِن آثــار تقصيره انعكاسُ هــذا التقصير على أولاده... إنــا نحن نحيي الموتى ونكتب ما قدموا وآثارهم، يعني أنت إن استجبت لله عز وجل فلك، وإن لم تستجب فعليك.

الضَّالُّ قد يُضِلُّ أقوامًا إذا أفســد العقيدةَ، إنســان يعمل في التعليم، علَّــم ثلاثين ســنة، عنده كلَّ ســنةٍ خمسُ شُــعَبٍ -فصول-، في كل شــعبة مئتان وخمســون طالبًا في ثلاثين ســنة أفســد حوالي عشرين ألف إنســان، أفســد عقيدتهــم، إذا ألقى الشــبهات، فــكلُّ هؤلاء الطــلاب في صحيفة المُفسِدِ الأول أيًّا كان ذلك الفساد. (وكذلك من يكتبون الكتب والمقالات بالباطل، والذيــن يظهرون على الشاشــات وأدوات التواصل الإجتماعي ويروجون للباطل والفساد).

عــلى الإنســان أن يعــدّ للمليــون قبــل الإقــدام على أي عمــل لأنه سيحاسب عليه...

قــد يكون العملُ صغيرًا في مَظهره، لكنه كبيرٌ في آثاره، ومُعظَم النار من مُسْــتَصْغَرِ الشَّرَر، قد تكون أنت أردت أن تســتمتع ببعض الشهوات قليلًا على مَرْأى من أولادك، أنت الأبُ.. أفسدتَهم وأنت لا تدري، فقَبْلَ أنْ تُقــصِّرَ في أمــرٍ إلهي، قبلَ أن تقــترف مخالَفةً للقــرآن الكريم نصَّ عليها القرآن الكريم، عُدَّ إلى المليون؛ لأن آثارَ هذا العمل أنت مُحاسَبٌ عليها.

وبعد أن بيَّن اللهُ لنا نتائجَ مَنْ يَقْبَل رسالاتِ الله ومَن يرفُضُها، ضرب لنا أمثلة واقعية، ربنا عز وجل يقول: يا محمد: ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا﴾.

فالإنسانُ إمَّا أن يفهم بالأفكار، وإما أن يفهم بالحوادث، مثلًا هناك مَن يقرأ مقالاتٍ عديدةً عن مَضَارِّ التدخين وهو يدخن، إلى أن يرى قريبًا لـه أصيب بسرطـان في رئتيه، أو بجلطة في دمـه، أو بأزمة صحية ضارية، عندئذ يرتدع. الإنسـانُ كلما كان أكثرَ عقلًا وأكثرَ ذكاءً اتَّعظ بالفِكر فقط، لكن هناك أُناسٌ أقلُّ مستوًى من هؤلاء لا يتَّعظـون إلا بالوقائع، عندها يدفعون الثمنَ باهظًا.

﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٣﴾

سؤالٌ، أيُّ قرية هذه؟ من هم أصحاب القرية؟ من هم القوم الذين كانوا أصحاب هذه القرية؟ لِمَ لَمْ يذكر ربُّنا جلّ جلاله اسـمَ هذه القرية؟ لِمَ لَمْ يذكر موقعَها؟ لِمَ لَمْ يذكُر أصحابَها؟

قالـوا: إذا أَبْهَـمَ -أخفى- القرآنُ شـيئًا فلا تَبْحَثْ عـن تعريفه، إذا أغفـلَ اللهُ اسـمَ القريةِ إيَّاك أن تبحث عن اسـمها؛ لأن لله حكمةً بالغةً في إغفال اسـم القرية؛ لأنه لو ذَكَر اسمَ القرية، ومَوقعَها، وزَمانها، ومكانها، واسـم أصحابها، وأعطاك التفاصيل، ما الذي يحدث؟ تظنُّ أن هذه قصةٌ وقعتْ مرةً واحدةً، أمَّا حينما يُغْفِلُ اللهُ اسمَ القرية، واسم أصحابها، واسم الزمـان، والمكان، والتفاصيـل، أراد الله أن يجعلها نموذجًا متكرِّرًا، لذلك قـف عند الآيـات الكريمة ولا تحـاول أن تبحث عـن شيء أغفله الله عز وجل. ومع ذلك ترى البعضَ قد اجتهد في البحث.. أية قرية هذه؟ قالوا: أنطاكية إلى ما هنالك...

في هـذه القصة مَغْزًى عظيـمٌ، ودِلالاتٌ كبيرة جدًّا، يمكن أن تضع يدك عليهـا دون أن تفهم التفاصيـل التي لو ذُكِـرت لانقلبت القصةُ من قانون إلى حَدَثٍ تاريخيٍّ وقع وقد لا يقع مرةً ثانية، وهذا الذي يدعوني أن أُعْرِضَ - قصدًا - عما ورد في كل التفاسير.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾﴾

هنا سـؤال: لماذا يكذِّب الكفـارُ - عادة - الأنبيـاءَ؟ الأنبياءُ جاؤوا بمنهـج، والمنهـجُ: افعـلْ ولا تفعل، المنهج فيـه أمر ونهي، وغالبًـا ما تَحُدُّ النواهي من شـهوات الكفار؛ لذلك فالإنسـان إذا أقام على شهواته واتبع أهواءَ نفسـه فأغلبُ الظن أنه يرفض الهدى، والدليل: ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ...﴾ (القصص: ٥٠). فالمُرابي - مثلًا - الذي يُصِرُّ على أكل الربا، لن يقنع معك أن الربا حرام! يحاور، ويناقش، ويماري، ويخادع، وكذلك الذي يقيم على معصية من نوع آخر لن يقنع معك.

لمـاذا رفـض الكفارُ دعـوةَ الأنبياء؟ لأنهـم مُقيمون عـلى المعاصي، متَّبِعـون للشـهوات، ومنهـج الأنبيـاء يَحُدُّ مـن شـهواتهم ويوقفهم عند حَدِّهم، وكيف يتوازنون مع أنفسـهم؟ لو جاء النبيُّ بمنهج والكافرُ رأى في هذا المنهج ما يَحُدُّ من شـهواته، فإذا أقرَّ به وقع في مشـكلة مع نفسه، إذًا الكافرُ حتى ينسجم مع نفسه يكذِّب دعوةَ الأنبياء.

هؤلاء أصحابُ القرية شأنُهم شأنُ كلِّ الكفار الذين تشبثوا بالدنيا، واستحكمتْ فيهم الشهواتُ، وأصروا عليها، فأعمت أبصارهم، فكذبوا الأنبياء والمرسلين، واتهموهم بالكذب.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ﴾.

كلما ساق الله عز وجل لك دعوةً أو أسلوبًا ولم تستفد منه رفع لك مستوى التعزيز -التكرار والدعم-؛ لذلك الإنسان كلما ارتقى صار يفهم عن الله بأدنى إشارة، وإذا تبلَّد حِسُّهُ لم يعد يفهم إلا بمرض خبيث، لا يفهم إلا بمرض عضال، لا يفهم إلا بإهانة شديدة، لا يفهم إلا بإفلاس كامل، المؤمن سريع الفهم، يرى في حال أن الأمور تغيرت، ينتبه!! من الذي غيرها؟ الله عز وجل، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ الرعد. كلما رأيت أخًا كريمًا بدأ يفهم عن الله نقول له: هنيئًا لك فَهْمُك عن الله، لقد قطعتَ أربعة أخماس الهدى، حينما تفهم كل شيء يسوقه الله لك، حينما تُفسّر الأشياء تفسيرًا إلهيًّا لا دنيويًّا، هذا من نعم الله عليك.

إن أسلوب التعزيز يستخدمه الله عز وجل مع عباده، فأنت كثيرًا ما يأتيك دعوة لطيفة، أحيانًا ترى رؤيا، إذا كنت موفقًا جدًّا وحساسًا جدًّا تكفيك رؤيا تحذيرية، أحيانًا كلمة، أحيانًا انقباض، هذا الطريق فيه انقباض لا يحبه الله، هذه النزهة لا ترضي الله، هذه السهرة لا ترضي الله، هذه الشركة لا ترضي الله، هذه الصفقة لا ترضي الله، هذا الدخول لهذا البيت لا يرضي الله، اللقاء مع فلان لا يرضي الله، الانقباض إشارة من الله عز وجل، فإذا فهم الإنسان عن الله عز وجل فهذه نعمة كبيرة، مادمت على مستوى أن تستجيب لنصيحة، لدعوة، أو لآية كريمة، أو لحديث شريف - فأنت تفهم عن الله تمامًا، هذه نعمة، أما الذي لا يفهم إلا بالمشكلة الكبيرة، والضيق الشديد، والتضييق، فهذا حسه متبلِّد، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

﴿قَالُوا۟ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾﴾

إذا كان النبيُّ بَشرًا يأكل كالبشر، ويجوع، ويشبع، ويعطش، ويرتوي،

ويتعب، ويعرق، ويُحِسُّ بالحرِّ، ويُحِسُّ بالبرد، ويأوي إلى الظلِّ، ويتزوج... إذا كان الرسـولُ تجري عليه كلُّ خصائص البشر، أهذا مما ينقص قدره؟! على العكس.. هذا الذي يُعلي قدره؛ لأن الذي لا يخاف لا يُسمَّى شجاعًا، والذي لا يجوع لا يصير صائمًا ولا صابرًا.

فالنبـي لو لم يكن من البشر، ولو لم تجـرِ عليه كلُّ خصائص البشر لما كان بهـذه العَظَمة، ولو أن اللهَ عز وجل أرسـل مَلَـكًا مكانه وقال المَلَكُ يا أيها الناس: غُضُّوا أبصارَكم وأنا أغضُّ بصري.. الجواب منهم: أنت مَلَكٌ ولسـتَ بشرًا، أنت لا تُحِسُّ بما نُحِسُّ، أنت لا تشتهي ما نشتهي، أنتَ غيرُ واقعيٍّ، لا يستطيع أيُّ نبيٍّ أن يقنِعَ الناسَ بأَحَقِّيَّةِ الحق إلا إذا كان من بني البشر.

النبيُّ له مهمَّتان: المهمة الأولى مهمة إبلاغية، وهذه مهمَّةٌ إذا قِيست بالمهمـة الأخرى فهـي ضَئيلةٌ، والمهمة الكـبرى مهمةُ القدوة والأُسـوة. فيكـون المعنى: أنت أيها الإنسـانُ مهما كان الكلام دقيقًـا ومنمَّقًا وواقعيًّا ومعـه أدلةٌ وبراهين ومعه تحليـلٌ، إنْ لم تجده مطبَّقًا في الحيـاة فلا قيمة له؛ لذلك الأنبيـاء كانوا قدوة، معهم منهج، وقد طبقوا هذا المنهج، لو أنهم لم يطبقوا هذا المنهج لما كان له قيمة.

الرسول ﷺ دخل المعركة، وجُرحتْ وَجنتُهُ، وكُسِرت ثَنِيَّتُه، جرتْ عليه كلُّ خصائصُ البشر. إذًا كلُّ من يقول: هو بشر، نقول له: نعم، وأكرم به من بشر؛ لأنه بشر كان سـيد البشر، ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ...﴾ (الكهف: ١١٠).

والكفار مقيمون على شـهواتهم، مُصِرُّون عليها؛ لذا كذبوا الرسـلَ وقالوا:

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ١٥﴾

مـن نعم الله علينا أن الله يعلم، قد تكون بريئًا وتُتَّهم، قل: الله يعلم، قـد تكون صادقًـا وتُتَّهم بالكذب، قـل: الله يعلم، قد تكـون ناويًا للخير ويأتيك من يُشكِّك في نواياك، قل: الله يعلم، قد يُطْعَنُ فيك وأنت عفيف، لكنك إذا عرفت نفسَك ما ضرَّك مقالةُ الناس بك.

مـع الله عـز وجل لا تحتـاج إلى يمين؛ لأنـه يعلـم، ولا تحتاج حتى لإيصال إستلام؛ لأن الله يعلم.

﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦﴾

أنتم تقولون: إنَّا كاذبون، لكنَّ الله يعلم، ويكفينا راحةً وطمأنينةً أن الله يعلم.

﴿وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ١٧﴾

قد يكون لك ابنٌ أو قريب أو شريك مُنحرِفٌ، ماذا تفعل؟ انصحه، وهـو بعد ذلـك مخيَّرٌ، قـال الله عز وجـل للنبي الكريـم: ﴿لَّيۡسَ عَلَيۡكَ هُدَىٰهُمۡ ...﴾ (البقـرة: ٢٧٢)، أي: لسـتَ مسـؤولًا عنهـم، والآيـة الثانية: ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ ...﴾ (القصـص: ٥٦). الهدايـة في هذه الآيات هي هدايـة التأييد والتوفيـق، أما هواية الرسـل فهي هداية البلاغ والارشـاد والدلالة للوصول إلى المطلوب ولا يملكون نتائج هذه الهداية.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا بِكُمۡۖ لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٨﴾

تطيرنـا: أي تشـاءمنا منكم. التشـاؤم أمـرٌ مضحِك؛ هنـاك أناس يتشـاءمون من يوم الأربعاء، أو من رقم ١٣، أو إذا دخل شخصٌ ما عليه

قال: قَدَمُهُ شؤمٌ، كلُّ ذلك كلامٌ فارغ.

قالوا تشاءمنا منكم، فقدوا الحُجة، والإنسان إذا فقد الحجة يلجأ إلى الأباطيل والأوهام.

مثلًا إنسان لا يصلي تدعوه للصلاة، عندما يصلي يقول: والله بعدما صليتُ الأمور ساءت... الإنسان عندما يريد الحق يريده بشكل مُضحك، بشكل خُرافي.

انتبه أيها الإنسان؛ خيرُك منك وشرُّك منك، كل شيء خارجي بريء، إذا أصابك الخير فمن التزامك لأمر الله وحسن استقامتك، ومن نواياك الطيبة، من إخلاصك، من حبك لله، الذي بين طريق الخير وإن أصابك الشر فمن تقصير منك، ومن ذنب منك...قال تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ٣٠﴾ (الشورى).

الإنسان السَّوِيُّ لا يتشاءم، التشاؤم لا معنى له، ومما قال سيدنا علي رضي الله عنه: «لَا يَخَافَنَّ العَبدُ إِلَّا ذَنْبَهُ»، لا تخف أحدًا؛ لأن أي أحد بيد الله، حتى الأخطار في الطرقات بيد الله.

لكل شيء حقيقة، وما بلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه. (لأنه من تدبير الله لك وللكائنات لعلمه بعملك قبل أن تفعله).

كما أن الله عز وجل يعطي فيُدهِش، كذلك يأخذ فيدهش، كثيرًا ما نرى في حياتنا أشخاصًا معهم مئاتُ الملايين، الآن لا يوجد معهم ثمنُ رغيفِ خبز، يتكفَّفون -يطلبون الصدقة- الناسَ؛ لأن الله سبحانه إذا أعطى أدهش وإذا سلب أدهش.

وهـذا هو الذي يقع في هـذه الأيام، كيف بكـم إذا أصبح المعروف منكرًا والمنكر معروفًا؟ الفسـق والفجـور مقبول، أما التديُّن فغير مقبول، وهذا من مفارقات الحياة.

من علامـات السـاعة: أن يُنزَع الحيـاءُ من وجوه النسـاء، وتذهبَ النخوةُ مـن رؤوس الرجال، وتُنزَع الرحمةُ مـن قلوب الأمراء، فلا يوجد رحمة، ولا حياء، ولا نخوة؛ فيجب الانتباه!

﴿ قَالُوا۟ طَـٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ ﴾

﴿ قَالُوا۟ طَـٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ ۚ ﴾ أي: خيرُكم منكم، وشرُّكم منكم.

﴿أَئِن ذُكِّرْتُم ۚ ﴾ أي: يـا أهل هذه القرية، يا أصحاب القرية، تتوعدوننا أن ترجمونا، وأن يمسَّـنا منكـم عذابٌ أليم لأننا ذكَّرناكـم، هل هذا جزاءُ الإحسان؟!

كلُّ هـذا التهديـد والوعيد لأننـا ذكَّرناكم!! هـذا إسرافٌ، إسرافُ العُدوان، أصحاب القرية هؤلاء رفضوا دعوةَ الأنبياء.

وهناك صنف آخر: إنسـان قدم لك النصيحةَ، أراد لك الهداية، أراد لك الرشاد...، هذا الصنف الآخر هو مثل هذا الرجل الذي جاء يسعى...

﴿ وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَـٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾

هنـا في هذه الآية يوجد حركة للإنسـان، آمن فتحرك، لم يبقَ قاعدًا، تجد شخصًا قانعًا بالحق وقاعدًا في بيته، لا منه خير ولا شر...!

هـذه الحركـة دليل الإيـمان والهدى، أنـت إذا كنت مؤمنًـا يجب أن يكـون لك نشـاط، لك دعوة إلى الله عز وجل! تقرأ وتسـمع دروسًـا من سـنوات، ألم يحِـنْ الأوان أن تعطي؟ يجب أن يظهر لـك تأثير في أولادك،

في أسرتك، في زوجتك، في جيرانك، في إخوانك، في من يلوذ بك، في عمالك، في موظفيك، انصح، وَجِّهْ، بَيِّنْ تفسير آية، تفسير حديث، انظر إلى هذا الرجل الصادق في الآية، سمع الحق فانطلق إلى أصحاب هذه القرية.

انتفع بهذه الدعوة، فجزاه الله خيرًا. الله عز وجل أكرمنا بهذه الدعوة -بين لنا الخير- وطريق الحق، كنا في ضلال فاهتدينا، كنا في شقاء فسعدنا، كنا في حيرة فوجدنا أنفسنا، عرفنا قيمتنا، عرفنا مهمتنا، عرفنا أننا مكلَّفون، عرفنا ربنا، عرفنا ماذا ينتظرنا من نعيم مقيم، ماذا ينتظرنا من عذاب أليم لو حُدْنا عن طريق الحق.

﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾

كل إنسان له هدف، إن كان ماديًّا أراد أجرًا، وإن رأيته منزَّهًا عن الأجر معنى هذا أنه يبتغي ما عند الله من أجر، المؤمنون يبتغون عند الله الأجر، يتعب معك، يجلس معك، يبذل الوقت، يبذل ماله، أحيانًا يبذل خبرته، يبذل الجهد الكبير، يبتغي عند الله الأجر، يبتغي عند الله الثواب، يبتغي أن يرضى الله عنه، أن يكون عند الله مقرَّبًا.

يقول هذا الرجل الذي جاء من أقصى المدينة:

﴿وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّىٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمْ فَٱسْمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾

فإذا أراد الله عز وجل لإنسان شيئًا مزعجًا، أو مرضًا عُضالًا، أو... من يستطيع أن ينقذه؟ أقرب الناس إليه يزوره، يقول: والله قلبُنا عندك، والآخر يتلوَّى من الألم وهو خائف ومصاب بآلام نفسية ولكن الله هو الشافي.

كان الحسن البصري عند والي البصرة، فجاءته رسالة من يزيد فيها توجيهٌ لا يُرضي اللهَ عز وجل، فسأل الحسنَ البصري: ماذا أفعل؟ فقال له كلمة، هذه الكلمة تكتب بماء الذهب، قال: «إنَّ اللهَ يمنعكَ من يزيد، لكن يزيد لا يمنعك من الله». طبِّقْها في كل حياتك.

هذا الرجل -في الآيات- آمن بهؤلاء الرسل، وانطلق إلى أصحاب هذه القرية يدعوهم إلى الإيمان، وقال هذا الكلام، لكنهم قتلوه، وبدل أن يدعو عليهم قال: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾، فالإنسان حينما يطَّلع على مقامه في الجنة يقول: لم أَرَ شرًّا قطُّ في حياتي، مركز الثقل في الآية هو: ﴿ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ ٢٣﴾، هذه قاعدة أساسية في حياتنا، كلما جاءك ضغط لتعصي الله قل: إن الله يمنعني من فلان، لكنَّ فلانًا لا يمنعني من الله، فهذا المؤمن لا تأخذه في الله لومة لائم، لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، السيد الصدِّيق أبوبكر رضي الله عنه قال: «أطيعوني ما أطعتُ اللهَ ورسوله، فإذا عصيت الله ورسوله فلا طاعةَ لي عليكم».

الشيء المهم أن المؤمن حينما يأتيه ملك الموت ويرى ما أعدَّ اللهُ له من نعيم مقيم قيل يعرق عرقَ الخجل، كلُّ المتاعب ينساها حتى لو أنه قُتِل، هنا -الرجل المؤمن- قتلوه، ولكنه عندما أراه الله عز وجل مقامه في الجنة: ﴿...قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾، أي يمكن لو علموا هذا ما قتلوني، لاستجابوا لي...

﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ٢٨﴾

هم أهوَنُ على الله من أن يعذِّبهم بجنود من السماء، فعذبهم بصيحة واحدة: ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾﴾.

تجد شخصًا مِلْءَ السمع والبصر، انقلب ومات بلا سبب، يقولون: أصابته سكتة دماغية، أو سكتة قلبية، أو موت مفاجئ، هي صيحة واحدة.

ثم قال تعالى: ﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ ۚ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٠﴾﴾

حينما يموت الإنسان عاصيًا، أو كافرًا، أو رافضًا دعوةَ الرسل، يتولَّد عنده حسرة لو وُزِّعت على أهل بلد لاستوعبتهم، قيل: الكافر إذا رأى مكانه في النار يصيح صيحة لو سمعها أهل الأرض لصعقوا لهولها.

﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٣١﴾﴾

ما بعد الموت أشد من الموت: أين عاد وثمود؟ أين الفراعنة؟ أين الرومان؟ الذي عتَوا، وبغَوا، واستطالوا، واستعلوا، وكفروا، أين هم الآن؟ أحاديث، قال الله تعالى: ﴿فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ...﴾ (سبأ: ١٩).

﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٣٢﴾﴾

أي أن كل الخلائق لدينا محضرون يوم القيامة لحسابهم ومجازاتهم: فينجوا المؤمنون ويهلك الكافرون، وقال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ (الغاشية).

﴿وَآيَةٌ لَّهُمُ الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾﴾

النفس الميتة يحييها الله عز وجل إذا اتجهت إليه كما يحيي الأرض الميتة. انظر إلى الأرض في الشتاء، وانظر إليها في الربيع، كيف أنبتت

العشب الأخضر والأزهار والثمار والمحاصيل والخضار والفواكه، هذا الحجم الخضري أين كان؟ من بذرة صغيرة أصبحت شجرة كبيرة.

يوجد في الآية إشارة لطيفة، كما أن الأرض الميتة يحييها الله عز وجل بمعجزة منه، كذلك القلب الميت، النفس الميتة إذا اتجهت إلى الله عز وجل يحييها؛ لذلك قال الله عز وجل: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ... ﴾ (الأنفال: ٢٤). وصف الكفَّارَ وشبههم بأنهم أموات غيرُ أحياء.

المادة الأساسية في العالم القمح، هذه من آيات الله عز وجل، ثلاثة آلاف وخمسمئة نوع من القمح في العالم، ولأنه غذاءٌ أساسيٌّ ينبت في جميع الأماكن، في الأماكن الحارة، والأماكن الرطبة، والأماكن الدافئة، والمنخفضات، والأغوار، والمرتفعات، والجبال، في أي مكان ينبت، وعلى مدى العام ينبت، وله أنواع لا يعلمها إلا الله، ومن له خبرة في هذا المحصول يعرف آية الله عز وجل في هذه المادة، من صمم السنبلة لها ساق هي الغذاء الأول للحيوان؟ وكما أن القمح متناسب تناسبًا رائعًا مع طبيعة الإنسان وأجهزته وحاجاته كذلك ساق القمحة متناسب تناسبًا كبيرًا مع حاجة الحيوان! طبعًا هذه موضوعات للتفكر، ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾﴾ (عبس)، أمرٌ إلهي، فكِّر في طعامك، قبل أن تقول هاتوا الخبز، أين الخبز؟ انظر في هذا الخبز! من صممه؟ من خلقه؟ سبحان الخالق... الفواكه والثمار والطعام مادةٌ أساسية للتفكر في خلق الله عز وجل:

﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾﴾

الجنات:

في البساتين تجد أنواع الفواكه، فنقول: هذه جنة. هذا البستان من

صممه؟ ﴿يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ...﴾ (الرعد: ٤). أنواعٌ متنوعة من الطعام والفواكه والثمار مادة للتفكُّر أساسية جدًّا، الفكر يجب أن ينطلق، لا تأكل كما يأكل عامَّةُ الناس، كُلْ كما يأكل المؤمنون، قل: بسم الله الرحمن الرحيم.

النخيل:

العلماء قالوا: «إن أطول الأشجار عمرًا هي النخلة»، بعض أشجار النخيل عمرها أكثر من ستة آلاف عام، وهناك صفات أخرى للنخيل، منها أنه إذا قطع رأسها تموت، وأن ثمار النخيل هي بحدِّ ذاتها صيدلية؛ إذ إنَّه يدخل في تركيب التمر ستة وأربعون مادة، والتمر مادة مسكِّنة، وهو يحتوي على مادة تقبض الأوعية، وفي التمر مادة ملينة، والتمر لا يتلوث... إلى ما هنالك

الأعناب:

والعنب يُعدُّ المادة الغذائية الأولى في الفواكه، ففيه سكريات، وفيه فيتامينات، وفيه مواد مرمِّمة، لدرجة أنه يعدُّ الفاكهة الأولى، وهو أيضًا أنواع، ويمكن أن يخزَّن زبيبًا، فيصبح قوتًا أساسيًّا للإنسان.

العيون والينابيع وطبقات الأرض آية من آيات الله الدالَّة على عظمته:

موضوع تفجُّر الينابيع موضوع طويل أساسه تصميم طبقات الأرض، خزن الله الماءَ في أحواض في جوف الأرض، لو فتحتَ هذا الحوض لرأيت صخورًا معدنية تُذاب قليلًا قليلًا في الماء، الماء الذي يخرج منها ماء معدنيٌّ يرمِّم الجسمَ البشري.

الماء آية من آيات الله الدالة على عظمته:

الماء أساسه مالح، والبحر لولا أنه مالح لما تمتْ حياةٌ على سطح الأرض، ثم يتبخر هذا الماء من السطوح المائية الواسعة عن طريق أشعة الشمس، ويحمل الهواءُ بخارَ الماء، فتسوق الرياحُ السحبَ، ثم يتخلى الهواء عن بخار الماء إذا برد فتمطر السماء، قال الله عز وجل: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ﴿١٤﴾﴾ النبأ.

الينابيع ماءٌ عذبٌ فراتٌ زُلال، مَن خزنه؟ الله جل وعلا، هذه الأنهار وهذه الثمار، الفواكه، من أنشأها؟ الله عز وجل.

﴿لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ﴾

كل هذه الثمار مصممة لك، لإكرامك، في لونها، في حجمها، في قوامها، في رائحتها، في شكلها، في طعمها، الطعم والرائحة والحجم والقوام والشكل واللون، هذه كلها تسهم في إكرام الإنسان، الفواكه لها منظر جميل بحد ذاتها قبل أن تأكلها، الفاكهة من حيث الجمال قطعة فنية، تصميم مبدع، تصميم إله عظيم، فهذه الفاكهة لماذا خُلِقَت؟

﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾

عمل الأيدي له معانٍ كثيرة، أحيانًا تأكل صناعة غذائية راقية أساسها تفاح، أساسها مشمش، أساسها قمح... الإنسان عمل مُداخلاتٍ طفيفة على أنعم الله عز وجل...

﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

عندما يأكل الإنسان الخبز، ويقول بسم الله الرحمن الرحيم، هل تعرف ماذا تعني كلمة: بسم الله الرحمن الرحيم؟ يعني هل فكرت في هذا الخبز أيها الإنسان؟ هل نفذت أمر الله في تناول الطعام؟ هذه البسملة كي

تَذْكُـرَ أمر الله في تناول الطعام، والبسـملة كي تذكر نعم الله عز وجل، أي وَفقَ أمره ومسـتنيرًا بنوره، فإذا شربت فقل بسـم الله الرحمن الرحيم، أي هذا الماء من نعمة الله علينا أن جعله عذبًا فراتًا...

إذا آمنت بالله وشـكرته حققت المُراد مـن وجودك، ﴿مَّا يَفْعَلُ ٱللَّهُ بِعَذَابِكُمْ إِن شَكَرْتُمْ وَءَامَنتُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾﴾ (النسـاء)، أي: إذا شـكرتم وآمنتـم فلـن تُعذَّبـوا؛ لأنكـم حققتم المـراد الإلهي من خلقكم؛ ولذلك نبينا عليه الصلاة والسلام كانت تعظُم عنده النعمة مهما دَقَّتْ، والمؤمن دائمًا يفكر في هذه النعم من خلقها؟

كلُّ شيء خلقـه الله عز وجل له هدفان أساسـيان: الهدف الأكبر أن تعرف الله من خلاله، والهدف الأصغر أن تسـتفيد منه، فإذا اسـتفدت منه ولم تتعرف إلى الله من خلاله ضيعت أثمن ما فيه.

أعمِـلْ فكرَك في نعَم الله دائـمًا لتحقيق المراد الإلهـي من خلقه؛ قال تعـالى: ﴿وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَـٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ (الذاريات)، ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾﴾ عبس، ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾﴾ (الطارق).

﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (يس).

النبات:

هذه إشـارة دقيقة في القرآن إلى أن النبات الذي يُنبت الثمارَ له فوائد لا تُعدُّ ولا تحصى تزيد على أنه مجرد نبات تأكله، أكثر الأدوية النافعة المفيدة من النبات، الأصبغة من النبات، الخشـب من النبات، الفلين أصله نبات،

المطاط أصله نبـات، أدوات التنظيف أصلها نبات، أشـجار الزينة نبات، أشجار الحدود نبات، ولو أن الإنسانَ حصر ذهنه في الفوائد العظمى التي يجنيها الإنسانُ من النبات لما انتهى.

يُصنـع القماش من النبات: الكتان والقطن من النبات، فالنبات تارة كسـاء، تارة دواء، تـارة صباغ، تارة شيء يمتع البـصر، الورود باب آخر، الأبصال باب آخر، الأزهار باب آخر، العدد يأخذ بالألباب.

النبات أسـاس الصناعات الغذائية، الشاي نبات، البُنُّ نبات، أنواع منوعة من الزهورات، هذه مضادة للسعال، وهذه لترطيب الجوف، وهذه مسـكِّن، وهذه مقشـع....، تجد كتبًا ضخمة جدًّا في التداوي بالأعشـاب الآن، يوجـد موسـوعات ومعاجـم عـن الأعشـاب، تصميم مـن هذا؟ سبحانه...

التنوع والتوحد:

يوجَـد في الكون ظاهرتـان اثنتان: الأولى ظاهـرة «التنوُّع»، والثانية ظاهـرة «التوحُّد»، كلُّ واحدٍ من البشر له وجهٌ غيرُ وجه الآخر، لو دقَّقتَ في ألـوان الوجـوه لرأيـت أنَّ كل واحد له لون لا يشركه فيـه آخر، فالآن العلم يؤكد أن لكل إنسـان رائحة لا تتشـابه مع رائحة إنسان آخر، ولكل إنسان لون لقزحيَّة العين لا تشترك مع قزحية عين آخر أبدًا، ولكل إنسان تركيـب لدمه لا يشـترك مع تركيب دم آخر، ولكل إنسـان بنية نسـيجية، أحـدثُ بحثٍ عن البُنى النسـيجية أن عددها حـوالي ٢,٥ مليار وحدة، يعنـي تقريبًـا في الأرض هناك واحـد آخر (أو اثنان على الأكثر) يشـبهك بتركيبك النسيجي.

أمـا إذا تناولـت دواء صُنـع في كنـدا وتناوله إنسـان يعيش في بلاد العرب، هذا الدواء مسـكِّن يسكِّن ألمه، ما معنى ذلك؟ أن مليارات البشر

مصممة وفق بُنًى واحدة، من أسماء الله (الواحد)، تحس أن في الكون وِحْدَة، الصانع واحد، ومن أسمائه أيضًا الواسع، تحس أن في الكون سعة، تنويع شديد.

إن عمليةَ تأبير النخل عمليةُ مُزاوجة، والآن في مختبرات أرقى شركات البذور يتم التلقيح باليد، يلقِّحون النبات باليد، ويغلقون الزهرةَ بملقط لئلَّا يدخل غبار طلع آخر يفسد هذه المزاوجة، فالتلقيح يتم تارة عن طريق النحل، وتارة عن طريق الرياح ﴿ وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ ...﴾ (الحجر: ٢٢)، وتارة عن طريق الإنسان نفسه، أشجار التين تلقَّح عن طريق الإنسان، والنخل يلقح نفسَه، تأبير النخل يتم عن طريق الإنسان، ونباتات تلقح عن طريق النحل، والنحل ربما كانت وظيفته الأولى تلقيح النباتات.

﴿ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾

الليل جعله الله سكنًا، الإنسان ينام في النهار ساعات طويلة ويبقى مشدود الأعصاب، إن نوم ساعة واحدة في أول الليل لا تعدلها ثلاث ساعات في آخر الليل، من جعل الليل سكنًا؟ والذي صمم حجم الأرض لو أنه صمّم حجمها أكبر لكان انجذابها للشمس مختلفًا، فيختلف تَبَدُّلُ الليل والنهار، فالليل والنهار متعلقان بحجم الأرض، ومتعلقان بسرعة دورتها حول نفسها، فمن صمم هذا التناسُب؟ من نسق بين الليل والنهار وبين حاجة الإنسان؟ الله سبحانه وتعالى، الليل موضوع للتفكُّر.

﴿ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾

تجد الشمس مشرقةً، الجبال متألقةً، السهول نضرةً، يأتي الليل: فإذا هو ظلام دامِسٌ مُوحِشٌ، أين كان ذلك الأنس مع الضوء؟ وأين ذهب ذلك الأنس مع ذهاب الضوء؟

الانسلاخ معناها: مرور، انصراف، زوال، انكشاف... أحيانًا يتألق المصباح فجأة فتنبهر العينان، وينطفئ فجأة فلا نرى شيئًا، لكن هذا التدرج في ذهاب الشمس شيء عجيب، فأثناء غيابها تجد الضوء يضعُف قليلا قليلًا، فإذا جاء وقت العشاء وغاب الشفق الأحمر رأيت الظلام الدامس، إنه انسلاخٌ لطيفٌ، سبحانه!!

﴿ وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ﴿٣٨﴾ ﴾

الأرض تدور حول نفسها دورة كل ٢٤ ساعة، يعني سرعتها عند خط الاستواء ألف وستمائة كيلومترًا في الساعة، وينتج من هذه الحركة تعاقب الليل والنهار، بالإضافة إلى انحراف الأجسام المتحركة كالتيارات المائية والهوائية، وتدور حول الشمس بمقدار بيضاوي في كل سنة مرة واحدة (أي: كل ٣٦٥ يوم) بسرعة ٣٠ كلم في الثانية، ينتج عنها تعاقُب الفصول الأربعة، وما يُبقي الأرضَ ثابتة في مدارها هو قوة جذب الشمس لها!

الشمس آية من آيات الله تتسع لمليون وثلاثمائة ألف أرض، ستة آلاف درجة مئوية حرارة سطحها، في أعماقها عشرون مليون درجة، لو أُلقيتْ فيها الأرض لتبخرت في ثانية واحدة، ومع ذلك تجري، يقدر العلماء أنه مضى على تألقها خمسة آلاف مليون عام، إذًا تمشي الشمس لمستقر لها سبحان الخالق.

﴿ وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ﴿٣٩﴾ ﴾

قال العلماء: المنازل بالعموم معناها المكانة والمرتبة، ومنازل القمر أي: المدارات التي يدور فيها القمر حول الأرض، يدور كلَّ ليلة في أحدها لا يتخطَّاه ولا يتقاصر عنه، وهي ثمانية وعشرون منزلة في الشهر الواحد، لكل منها اسم معين لها، وهي مواقيت للبشر.

أوَّلُ القمـر هـلالٌ رفيـع يزداد حجـمًا كلَّ يـوم إلى أن يصبـح بدرًا ﴿لِتَعْلَمُوا۟ عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ ۚ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ يُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥﴾﴾ (يونس).

يعني أن القمر يدور حول الأرض، والأرض تدور أيضًا، لو جاءت سرعـة القمـر في دورته حول الأرض مع سرعـة الأرض في دورتها حول نفسـها لأصبـح القمر في مكان واحـد ثابت، لكن من هـذا التفاضل تجد القمر يشرق ويرتفع ويغيب، هذا التفاضل هو روعة الخلق.

والعرجون: عنقود النخيل إذا نزعتَ عنه التمر فيبقى مقوسـاً رفيعاً أصفـر اللون. أما كلمة القديم فمعناها أن الهـلال عندما يُولد يبدو متألِّقَ اللـون، أما حينـما يقترب من نهايته فيبدو شـاحبَ اللـون، فجاءت كلمة القديم إشـارة إلى أن الهلال قبل أن ينمحق يبدو في لون أقل تألقًا من لونه عندما يولد.

﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾﴾

سـمعنا عن باخرتـين عملاقتين اصطدمتا فتلـوَّث البحرُ بالبترول، عن طائرتين اصطدمتا، عن قطارين تداخلا، هناك كوارث كثيرة ناتجة عن أخطاء بشرية، ولكن لم نسمع أبدًا أن خطأ حدث في السماوات العلا.

لأن الشـمس والقمـر - وكذلـك الأرض - تـدور في مدار خاص ومختلف، فلا يمكن لليل أن يسبق النهار.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾﴾

ومعنـى الآية هنا هي العلامة والإمـارة، وكذلك: المعجزة والرهان

والعـبرة أما معنى الآية في القرآن الكريـم فهي الفقرة أو الجملة أو العبارة التـي وردت في السـور وقـد تكون وحـدة قرآنيـة منفصلة عـما قبلها أو بعدها...

والآية هي إشارة إلى سفينة نوح عليه السلام التي حملت البشرية.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾﴾

في البحر سـفنٌ، وفي الـبر جِمال وخيول وبغال وحمـير، ويخلق ما لا تعلمون، هذه السـيارات والقطارات والطائـرات والصواريخ، وهذه مما يخلق ما لا تعلمون، وكذلك قال الله تعالى في سورة أخرى:

﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ النحل. في هذه الآية دخلت فيها كلُّ المركبات.

﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾﴾

المقصـود بهذه الآية الكفار لو شـاء الله لأغرقهم ولا يسـتطيع أحدٌ إنقاذهم

لا يتـذوق معنى هـذه الآيةَ إلا من ركب البحرَ، أضخمُ سـفينة هي سفينة صُنعت عام ١٩١٢م اسمها «التيتانيك»، مشهورة كثيرًا، سفينةٌ قيل في كُتيِّب أصدرته الجهة الصانعة أن هذه السفينة لا يستطيعُ القَدَرُ إغراقَها (معـاذ الله)، فهـي من أضخم السـفن التي بُنيت في وقتهـا، وقامت بأول رحلة من بريطانيا إلى أمريكا، ركب في هذه السفينة أغنياء أوربا، حملوا من الذهب والحلي والألماس ما يُقدَّر ثمنُه بمئات الملايين، طبعًا السفينة مدينة عائمة؛ ففيها: الحمامات، المسـابح، المطاعم، الأثاث... أفخر ما في أوروبا وضُع في هذه السـفينة باعتبـار أنها لا تغرق، صُنعت مـن جدارين اثنين،

وبين الجدارين حواجز عرضية، فلو أنها أصيبت من مكان أُغلقت الحواجزُ فمنعت دخولَ الماء، هذه السفينةُ لم يصنع لها قوارب نجاة لأنها لا تغرق، وفي أول رحلة لها غرقت في عرض المحيط الأطلسي؛ حيث اصطدمت بجبل جليدي شطرها إلى شطرين، وأرسلت استغاثات عديدة، ولكن كلَّ السفن التي حولها ظنت أنها تحتفل بأول رحلة، وكتب عنها مقالةٌ قبل حين، وقد عثروا عليها وأخرجوها من البحر منذ أعوام عديدة.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾﴾

ولكن عندما ينتهي الأجل قد ينقذهم الله رحمة منه ولحكمة أرادها ولوقت معلوم يكون الموت لأتفه سبب.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾﴾

التقوى من الوقاية، والوقاية لا تكون إلا من الخطر، فالإنسان كيف يتقي عذاب الدنيا؟ الدنيا فيها متاعب وفيها آلام لا يعلمها إلا الله عز وجل، لذلك اتق عذاب الدنيا بطاعة الله، اتق عذاب النفس بالتوحيد، اتق الكفر بالإيمان، اتق العقاب بالطاعة.

الله عز وجل - خالقُ الكونِ - يقول لابن آدم: لماذا لا تستقيم؟ يقول الانسان: حتى يهديني الله! هذا كلام فارغ! ليس لك أيُّ حجة، الله عز وجل موجود، وهذا الكون يدل عليه، وهذا الكتاب [القرآن الكريم] كلامه، وإعجازُه يدلُّ عليه، وهذا الرسول ﷺ نبيُّه، وهذا الكتاب يدل عليه، يوجد إلهٌ له كلام وله نبي وله سُنَّة.. إذًا لماذا لم تستقم؟ ما بين أيديكم: أي في الدنيا وما خلفكم: أي في الآخرة.

﴿وَمَا تَأۡتِيهِم مِّنۡ ءَايَةٖ مِّنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِمۡ إِلَّا كَانُواْ عَنۡهَا مُعۡرِضِينَ ٤٦﴾

المؤمن بنى حياتَه على العطاء، أما الكافر فبنى حياتَه على الأخذ ولذلك فهو يعرض عن كلام الله عز وجل

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمۡ أَنفِقُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنُطۡعِمُ مَن لَّوۡ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطۡعَمَهُۥٓ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٤٧﴾

هذا منطق أهل الدنيا، لا يكفي العباد إلا الله عز وجل، والله عز وجل أمرك أن تعمل الصالحات.

يقول الإنسان: أنا ليس لي علاقة، لكلٍّ ربٌّ لا ينساه، طبعًا، ولكن الله عز وجل أفقره وأمرك أن تعطيه، من أجل أن تُمْتَحَنَ أنت ويُمتحَن هو، هو بالصبر وأنت بالإنفاق.

جعل اللهُ الإنسانَ غنيًّا ليتصدَّق، وجعله قويًّا ليُعاون الضعيف، وجعله عالمًا ليعلّم، والله عز وجل وصف المؤمنين أنهم: ﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾ (البقرة).

ثم يقولون استهزاءً: ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلۡوَعۡدُ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤٨﴾ أي: متى يوم القيامة؟ قال تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ تَأۡخُذُهُمۡ وَهُمۡ يَخِصِّمُونَ ٤٩﴾

صيحة: أي صرخة واحدة تزهق أرواحهم (كما حدث لبعض الأقوام السابقين)

يخصمون: بعض العلماء قال: يخصمون في شأن البعث والرسالة، أي: يختصمون، هل هناك موت أم لا؟ هل هناك جنة أم لا؟ ما هو دليلك؟ إنسان يتناقش مع إنسان في حقيقة الموت ثم جاءه ملك الموت ليخطفه، فمجيءُ ملك الموت أبلغ جواب، العاقل من يحتاط للموت قبل مجيئه.

﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾

والله عز وجل قادرٌ أن يجعل الموتَ أعجل من أن توصي، فلا يستطيعون حتى الوصيةَ، فلا توبة، ولا إشارة، ولا عبارة، ولا تنبيه... أسهلُ شيء يفعله الإنسانُ أن يقول كلمة: البيت لفلان؛ التوصيةُ سهلة جدًّا ومهمة جدًّا، ومع ذلك قد يأتي الموت بأسرع مما يتيح للإنسان أن يوصي لأحد، ما هي إلا صرخة واحدة تُزهِقُ أرواحَهم.

دقِّقْ، الإنسان يخرج من البيت ويرجع، يسافر ويرجع، يسافر للدراسة أربع سنوات ويرجع، يغترب ويرجع، موضوع الرجوع إلى البيت أملُ كلِّ إنسان، لكن الميت إذا خرج من بيته لن يرجع، لا يعود إلى بيته، معنى ذلك أن الإنسان عليه أن يُعِدَّ العدةَ لهذه الساعة التي يغادر فيها دون رجعة.

أحداث الموت سريعة جدًّا تأتي بسبب أحيانًا وأحيانًا بلا سبب، قال عليه الصلاة والسلام: «الْكَيِّسُ[1] مَنْ دَانَ نَفْسَهُ[2] وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا وَتَمَنَّى عَلَى اللهِ الْأَمَانِي» رواه ابن ماجه. والمقصود الحث على محاسبة النفس على كل عمل وقول.

---

١ – الكيس: حسن الفهم والسلوك

٢ – دان نفسه: حاسبها.

الـكلُّ يتمنى أن يكون من أهل الجنـة، لكن ربنا عز وجل لا يتعامل مع عباده بالأماني إطلاقًا بل بالعمل؛ لقول الله عز وجل: ﴿لَّيْسَ بِأَمَانِيِّكُمْ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ۗ مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ...﴾ (النساء: ١٢٣).

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾

أن بعـض العلماء قال إنه هناك نفختان للصـور: نفخةٌ لا تُبقي حيًّا، ونفخـة لا تُبقي ميتًا، جميع الأحياء يموتـون في النفخة الأولى، وبعد حين تنفخ النفخة الثانية فيبعث اللهُ كلَّ الأموات.

الأجداث جمع جَدَث، وهو القبر، (ينسِـلون): يقال فلانٌ له نسـل، أي: شيء خرج منه، الطفل يخرج من بطن أمه فهو من نَسـلِها، وكأنَّ القبرَ رحمٌ يخرج منه الميتُ كما يخرج الجنين من بَطنِ أمِّه.

﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ ﴿٥٢﴾﴾

يقولـون: يا ويلنا لأن عذاب النفس يـوم القيامة أصعب من عذاب الحريق، لأنها ضيعت فرصتها الأبدية.

فتقول الملائكة:

﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾﴾

الناس تسـمع في الدنيا أنه يوجَد نفخـة في الصور أولى، ونفخة ثانية ويوجد آخرةٌ، وحسـاب، وصراط فوق جهنـم، وصحف تنشر، ويوجد جنة ويوجد نار هذا كله يسمعه.

الويل لَمن لا يأخذ أحداثَ يوم القيامة مَأخَذَ الجدِّ

تستمع في القرآن إلى النار، والناس في جهنم يتصايحون فيها، بينما أهل الجنة ونعيمها على سرر متقابلين، هذه المشاهد والصور في الجنة والنار وهذا الوعد الذي وعد الله به عباده المؤمنين والوعيد للكافرين هذه كلها أخبارٌ لم تقع بعد، الله خالقُ الكون هو المخبر، فالويل لمن لم يصدِّق.

﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾

حمانا اللهُ من الخِزي والعارِ يوم القيامة، كلُّ الخلق بين يدي الحق، وأعمال الخلق كلُّها مسجلةٌ تُعرَض عليهم بأدقِّ تفاصيلها، والمرء هناك عندما يُعايِنُ عملَهُ السيِّئَ -وتشهد عليه جوارحه- يذوب.

راقبْ بعضَ صورِ وملامح المجرمين حينما يُصوَّرون وهم في قفص الاتهام، أولًا وجههم كالح، ثانيًا بصرهم كسير، لا يستطيع أن ينظر في المصوِّر، هذه مشاعر الندم وهي مشاعر مؤلمةٌ جدًّا، بعض الناس في بعض حالات الندم ينتحر؛ لا يحتمل شعور الندم، والله عز وجل قال: ﴿أَفَمَن وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٦١﴾﴾ (القصص).

هناك فرقٌ كبير جدًّا بين إنسان يُطرَق بابُه ليُلقى القبض عليه وتُكبَّل يداه مهانًا معذبًا ويساق إلى السجن، وبين إنسان آخر يُطرَق بابُه فتأتيه بطاقةُ دعوةٍ بيضاء مُذَهَّبة، وفيها عبارات الشكر والامتنان لو أنه حضر الدعوة، فيذهب في الوقت المناسب فيجد الاستقبالَ، والمكانَ المريح، والطعام الطيب، والمؤانسة، والابتسامة، والتكريم، والهدايا، شتان بين من يذهب إلى الله وفدًا وبين من يساق مجرمًا، فرقٌ كبير.

الواحدُ منا لو كان سيُسأل من قِبَل إنسانٍ مهمٍّ لا ينام الليل، سيَسأل نفسَه: ماذا قلتُ؟ ماذا فعلت؟... ربُّ العالمين رافعُ السماوات بغير عَمَدٍ سوف تقف بين يديه في الآخرة وسوف يسألك عن كل أعمالك، ولن تستطيع أن تكذب أبدًا.. كيف بك أيها الإنسان إذا عُرضتْ عليك أعمالُك كلُّها عملًا عَملًا؛ فلذلك - وقبل أن تفعل شيئًا في الدنيا- تصوَّرْ أنك واقفٌ بين يدي الله عز وجل. ولأنه عند الحساب يقول لك رب العزة: يا عبدي لماذا فعلت كذا؟ أعطيتك مالًا فماذا صنعت فيه؟ لا يوجد كذب، تقول: يا رب لم أنفق منه شيئًا مخافةَ الفقر على أولادي من بعدي، فيقول الله عز وجل: ألم تعلم أني أنا الرزاق ذو القوة المتين، إن الذي خشيتَه على أولادك مِن بعدك قد أنزلتُه بهم، ويقول الله تعالى لعبد آخر: قد أعطيتك مالًا فماذا صنعت فيه؟ فيقول: يا رب أنفقته على كل محتاج ومسكين لثقتي أنك خيرٌ حافظًا وأنت أرحم الراحمين، يقول سبحانه: أنا الحافظ لأولادك من بعد.

﴿ فَٱلۡيَوۡمَ لَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗا وَلَا تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٥٤ ﴾

الله عز وجل حرم الظلم على نفسه وجعله محرماً على عباده، قشَّةٌ نزعتَها من المسجد وضعتَها في جيبك.. ما قيمة هذا العمل؟ هذا العمل محفوظ عند الله عز وجل، فما بالُكَ بما هو فوق ذلك؟ دخلت امرأةُ النارَ في هرةٍ حبستها، فلا هي أطعمتْها، ولا هي تركتْها تأكلُ من خَشاش الأرض.. وامرأةٌ أخرى يُغفَر لها من أجل كلب سقته كاد يموت عطشًا، هذا هو القرآن الكريم، لا يرقى الإنسانُ إلى الخالق سبحانه إلا إذا طبَّق كلَّ آية سمعها.

أحد الأعراب سأل النبيَّ الكريم ﷺ وقال: عِظْنِي[1] وَأَوجِزْ[2]، فتلا عليه الآية الكريمة:

﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾ الزلزلة، فقال الأعرابي: قد كُفيتُ، فقال عليه الصلاة والسلام: «فَقُهَ الرجُلُ». رواه ابن ماجه.

ثم وصف الله أصحابَ الجنة فقال:

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ۝٥٥﴾

قال العلماء: مشغولون بإكرام الله لهم، مشغولون بضيافة الله لهم، مشغولون في هذا النعيم المقيم، مشغولون في النظر إلى وجه الله الكريم.

في الجنة حور عين، وأنهار من عسل مصفى، وثمار قطوفها دانية، الفاكهة لا مقطوعة ولا ممنوعة، (أي: ليست مقطوعة عنهم في وقت دون وقت، ولا ممنوعة عنهم أبداً)، وأنهار من لبن لذة للشاربين، ولبن لا يتغير طعمه، وجنات تجري من تحتها الأنهار، قال تعالى:

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٢١ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ۝٢٣ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ۝٢٤﴾ الحاقة، وأبلَغُ من كلِّ ذلك أن تنظر إلى الله عز وجل، ومع هذه النظرةِ إحساسٌ بأن الله راضٍ عنكَ، وهذا أعلى المشاعر إسعادًا للإنسان.

١- عظني: من العظة أي أرشدني وذكرني بالواجبات المفروضة.

٢- أوجز: أي أختصر في بلاغه.

﴿هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾﴾

الأرائك هي مقاعد مريحة، المؤمن يكون في إكرام ما بعده إكرام، زوجته التي في الدنيا إذا كانت في مستوى من التقى والإخلاص ستكون زوجته في الجنة، وإلا فسيكون له زوجة أخرى.

نظام الجنة نظام يختلف اختلافًا كليًّا عن نظام الدنيا، فنظام الدنيا بالسعي، ونظام الجنة بالطلب، أنت في الدنيا لا يمكن أن تصل إلى شيء إلا ببذل جهد واضح، هذا هو السعي، تعب وجهد حقيقي، لكن في الجنة يكفي أن يخطر في بالك شيء ليتحقق فورًا، والجنة أساسها الطلب.

﴿لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾﴾

﴿مَا يَدَّعُونَ﴾: ما يطلبون، أيُّ طلبٍ يطلبه المؤمنُ يتحقق فورًا، إذًا هو مشغولٌ بإكرام الله له، ومشغولٌ بنعيمه مع زوجته، ومشغول بما يُقدَّم له من طعام نفيس وفاكهة لا تخطر على بال، وفوق كل هذا تأتي قمة السعادة:

﴿سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾

إنسانٌ في ضيافة الرحمن خالقِ الكون يسلِّم عليه، ما ألطفه سبحانه! إكرامُ الله للمؤمن يفوقُ كلَّ إكرام، أحيانًا تدخل بيتًا فيه طعامٌ طيِّبٌ، لكنَّ صاحبَ الدعوة مُقَطِّبٌ جبينَه تقطيبًا، صاحبُ الدعوة يُذهِب لذَّةَ الطعام، لكنْ إذا دخلتَ إلى بيت وجلستَ على أريكة وَثيرةٍ وقُدِّمَ إليك الشرابُ البارد، وجاء الطعامُ النفيسُ، ثم جاءت الفواكه، ومع كلِّ ذلك صاحبُ البيت يقول: أهلًا وسهلًا، شرَّفْتنا، نورْتَنا، إيناسُ صاحبِ البيتِ لا يقلُّ

إسعادًا لك عن الضيافة التي يقدِّمُها لك، فربُّنا عزَّ وجل في هذه الآياتِ الثلاثِ يقول عن أصحاب الجنة إنهم سيكونون مشغولين بالنِّعم في جنات النعيم المقيم [الدائم] وفوق ذلك يسلم الله عليهم...

أما المجرمون فيقال لهم: ﴿وَٱمۡتَٰزُواْ ٱلۡيَوۡمَ أَيُّهَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٥٩﴾

إن أعظم شيء يتذوَّقُه المجرمون يومَ القيامة أن يكونوا محجوبين عن ربهم: ﴿كَلَآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ ١٥﴾ (المطففين).

هناك فرقٌ كبير بين إنسان في ضيافة الرحمن وإنسانٍ آخر مُبْعَدٍ عن الله عز وجل؛ حيث إنَّ الحجاب من أشد أنواع العذاب، يقال للملائكة: أبعدوا المجرمين عمَّن كان في ضيافة الرحمن.

﴿أَلَمۡ أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعۡبُدُواْ ٱلشَّيۡطَٰنَۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٠﴾

هناك أدلة كثيرة على عداوة الشيطان لبني آدم، فمثلًا عندما ترى إنسانًا تدمَّرَ نتيجةَ كسب المال الحرام، أو العدوان، أو الانحراف الأخلاقي، دُمِّرَ وفُضِح، أفلس، أو حُكم عليه بالسجن، أو أُعدم، قلْ: هذا من عمل الشيطان.

مسافةٌ كبيرةٌ جدًّا بين إنسان رحمانيٍّ يهتدي بهدي الله عز وجل وبين إنسانٍ الشيطانُ يَؤُزُّهُ أزًّا -أي يهزه ويحركه بشدة وازعاج-.

خالق الكون يوجِّهك ألا تتحرك بوسوسةٍ من الشيطان، من راقب حركة الناس يجد أن خصوماتهم دخل فيها الشيطان، فمعظم حالات الطلاق أساسها الشيطان، تجد الشيطان يحمس الزوج ويكرِّهه بزوجته، ويحمس الزوجة ويكرهها بزوجها...

الناس نوعان: شيطانيٌّ (كافر أو منافق)، ورحمانيٌّ (مؤمن)، فالشيطاني: يتحرك بدافع من الشيطان، دائمًا لديه دوافع عدوانية، بينما المؤمن متسامِح، فهنيئًا لمن يتحرك بإلهام الملك الرحمن، والويل لمن يتحرك بوسوسة الشيطان.

﴿وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١﴾

يا رب كيف نعبدك؟ هذا منهجُ القرآن فيه كلُّ شيء، والسُنَّة فيها كلُّ شيء، إنْ تمسَّكْنا بهما فلن نضِلَّ أبدًا، معك منهجٌ من خالق الكون، معك تعليمات الصانع، معك قوانين، معك مفتاح السعادة، والسلامة، معك نور مبين مع حبل متين، معك حصن حصين.

﴿وَلَقَدۡ أَضَلَّ مِنكُمۡ جِبِلّٗا كَثِيرًاۖ أَفَلَمۡ تَكُونُواْ تَعۡقِلُونَ ٦٢﴾

جبلاً: يعني خلقاً أو جماعة عظيمة

ألَمْ تَرَ أُممًا دمَّرها الله عز وجل؟ شعوبًا فسقت فأهلكها الله عز وجل؟ أممًا ذات حضارة عريقة انتهت وطويت صفحاتها؟ أين هم؟ هم أسرى أعمالِهم، الله عز وجل قال: ﴿ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗاۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدۡخِلُوٓاْ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ أَشَدَّ ٱلۡعَذَابِ ٤٦﴾ غافر. فرعونُ موسى وقومه مضى على دمارهم ٦٠٠٠ عام، وكلُّ عام فيه ٣٦٥ يومًا، يعرضون في اليوم مرتين، إلى يوم الدين.

شتَّان بين مَن صدق اللهَ عز وجل واتقى النارَ، وبين من كذب بهذا القرآن فجاء بهذا الموقف العصيب الحرج، وقيل له:

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ٦٣ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ٦٤﴾

أصلوها: يعني ادخلوها وقاسوا حرها

الإنسان أحيانًا يكون طليقَ اللسان، ذكيًّا جدًّا، يتمكن من إقناع الناس بموقفه المُنحرِف، فهذه الطلاقة وهذا الذكاء وهذا اللسان وقوة الحجة لا تنفعه يوم القيامة إطلاقًا، مصدرُ قوةِ الكافر في الدنيا أحيانًا طلاقةُ لسانِه، فلسفتُه... يقتنع أنه على حق، فربنا عز وجل في هذا الموقف العصيب حيث تُعرَض أعمالُ الإنسانِ عليه عملًا عملًا، سيكون لسانُه وقتَها معقودًا لا يقدر أن ينطق بكلمة واحدة من فَمِه.

﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾﴾

لذلك قبل أن تفعل شيئًا تخيَّل أنك واقف بين يدي الله عز وجل، وهذا اليوم لابد من أن يأتي مهما طال الأمد، لابد من أن نقف جميعًا لنُسأل عن كلِّ أعمالنا، حينها يمنعون من الكلام وستنطق الجوارحُ عن الأعمال، فلا مجال للنُّكران أبدًا، فالسعيد من جعل عملَه وَفْقَ الشرع، والشقيُّ من حادَ وانحرف فدفع الثمنَ باهظًا.

﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰٓ أَعْيُنِهِمْ فَٱسْتَبَقُوا۟ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾﴾

لو أن الله سبحانه وتعالى طمس على أعين الناس فألغى بصرَهم لتاهوا وضلُّوا وتزاحموا ولم يروا طريق الحق سبحانه...

هذا المعنى الظاهر للآية، لكنْ ما معناها العميق؟ أيها الإنسانُ إذا توهمتَ أن الله خلق مؤمنًا وخلق كافرًا وأنه أراد من الكافر أن يكفُر وأنه خلقه كافرًا ولا جريرة له بذلك، إذا توهمتَ أن الله أجبر الإنسان على الكفر، إذا توهمت ذلك فلماذا أعطاه عينًا يرى بها الآيات؟ لماذا أعطاه سمعًا يسمع

به الحق؟ لماذا أعطاه عقلًا يكشف به الحقائق؟ أليست هذه العين المبصرة دليلًا على أن الله خلق العين لترى بها آياتِه الدالةَ على عظمته؟ أليست هذه العين نافذةً تُطِلُّ بها على العالم الخارجي؟

لو أن الله عز وجل لم يُرِدْ لك الهدى، لو أنه أجبرك على الضلال، لو أنه أراد لك الضلال، فلماذا أعطاك هذه الحواس الخمس؟

هذا الكون الذي يمتلئ بالآيات الدالة على عظمة الله عز وجل، لو شاء الله لنا الضلالة لطمس على أعيُننا.

إذا أردت أن تعبد اللهَ فذاك القرآنُ منهجٌ قويم، صراط مستقيم... إذا أردت أن تعرف الله فذلك الكونُ، وإن أردت أن تتقرب إليه أعطاك حركة، قوة، أعطاك طاقة عضلية، وطاقة فكرية، وطاقة نفسية، أعطاك ملكات، مهارات.

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ ﴿٦٧﴾ ﴾

لو أن الله جعل الإنسانَ كتلةً من لحم بلا عظم مثل الرخويات لكان عضلةً مُلقاةً على الأرض، من أعطاك الجهاز العظمي؟ من ربط الجهاز العظمي بهذه العضلات بالمئات، العضلات بعضها مخطط، بعضها أملس، بعضها إرادي، بعضها لا إرادي، شيء يحيِّر العقول، وبعض العضلات وأنت في أتمِّ الراحة تكون هي في أشد الانقباض، ولولا هذه العضلة لكانت حياة الإنسان جحيمًا لا يطاق، بهذه العضلة تحفظ لك كرامتك، بهذه العضلة التي في أشد حالات انقباضها أنت مرتاح وأنت لا تدري.

لو أن الله عز وجل جعل عضلة القلب بيدك لما كان بإمكانك أن

تنام، إذا نام الإنسان توقف قلبه، لو جعل حركة الرئتين مَنُوطةً بك...

جعلك اللهُ تتحرك وتمشي، وأعطاك رِجلًا، الكعبُ في القدم تتفق مع أدقِّ نظريات الميكانيكا، الأصابع في القدم، الأخمص في القدم، عضلات القدم، الركبة... خلق الله سبحانه الإنسانَ في أحسن تقويم، لو أراد الله عز وجل للإنسان الضلالَ لما أتقن صُنعَهُ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ التين.

الدقة والإبداع في خلق الإنسان من أجل أن يعرف الله عز وجل:

الدماغُ عاجزٌ عن إدراك ذاتِهِ، قشرةُ الدماغ وزنُها مئة جرام، سُمكُها ٢ ملم، فيها كلُّ شيء، مركز السمع، مركز البصر، مركز الحركة، مركز الإحساس، مركز التوازن، فيها مركز الإدراك، مركز المحاكمة، مركز التذكُّر، مركز التدبير، شيء لا ينتهي، فيها من خمسين إلى مئة مركز لم تُعرَف وظائفُها الدقيقة بعدُ، أما الدماغ ففيه ١٤٠ مليار خلية لم تُعرَف وظيفتها بعد!! سبحان الخالق المدبر الحكيم...

الإنسان له هُويات وليس هُوية واحدة، كان يظن من قبلُ أن له هُويةً واحدة وهي بَصْمَتُه، الآن قُزَحِيَّة العين هُويةٌ، أحدث بحث أفاد أنه لا يوجد إنسان يشبهه آخر في قزحية العين، فالآن هناك أجهزةٌ تضع عينك على الجهاز فيعرف هويتك، لا يوجد تزوير هنا إطلاقًا، رائحة الجلد هوية، بلازما الدم هوية، وحدة النسيج في جسمك هوية، نبرة الصوت هوية، بصمة اليد هوية، لقد كرَّمك فجعلك فردًا لا مثيل لك؛ كل هذا من أجل أن تعرف اللهَ عز وجل.

﴿ وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾

الإنسان يُولَد لا يعلم شيئًا، تنمو مَلَكاتُه شيئًا فشيئًا، تنمو قُدراتُه شيئًا فشيئًا، تنمو مفاهيمُه... إلى أن يكتمل في الأربعين، وبعدئذ يميل خطُّهُ البياني في النزول إلى أن يُرَدَّ إلى أرذل العمر، لكن أرذلَ العُمُرِ ليس للمؤمنين، فاطمئنُّوا، أرذل العمر هذا ليس لمن أمضى حياته في طاعة الله، أرذل العمر ليس لمن كانت له بداية مُحْرِقةٌ، من كانت له بداية صعبةٌ وشاقة كانت له نهاية مُشرِقةٌ.

ثمَّة أشخاص صالحون وهم في التسعين وأكثر وهم بأعلى درجات يَقَظَتِهم وإدراكهم.

إن أرذل العمر هذا لمن أمضى شبابه في معصية الله، لمن لم يطلب العلم في شبابه، ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ...﴾ (الجاثية: ٢١). أي: أنتم هل تعتقدون ذلك ﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ (الجاثية)، أي: في الحياة والممات.

لقد أعطاك اللهُ السمعَ والبصرَ، أعطاك الحركة، يُفهم من هذه الآيات أن الإنسان عنده قوتان كبيرتان: قوة إدراك متمثِّلة بالحواس والعقل، وقوة حركة؛ فأنت في الدنيا بحاجة إلى علم وعمل، وفحوى دعوة الأنبياء جميعًا: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ الأنبياء. نتيجة العلم «التوحيد» ونتيجة العمل «التقوى».

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾﴾

ما معنى (وما ينبغي له)؟ النبوة لا يليق بها الشعر فالشعر فيه كذب، فيه نفاق، فيه مبالغة، فيه هجاء، فيه غزل غير عفيف، فهذا الذي يتغزل

يصف أعضاء المرأة، هذا الذي يثير الشهوات في الناس، هذا الذي يتحدث عن عواطفهم الخسيسة، عن حبهم، عن مشكلاتهم دون أن يرقى بها، هذا شاعر يتخيل لكن لا يعبر عن الحقيقة. وأن هذا القرآن الذي جاءكم به محمد هو قرآن يبين لمن تدبره بعقل ولب أنه تنزيل من الله تعالى أنزله إلى محمد وأنه ليس بشاعر أو كاهن.

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾﴾

مَن هو الحيُّ؟ الحيُّ: هو الذي يفكِّر ويَعقِل ويُدرك، هو الذي يستفيد من تجارب الآخرين، هو الذي يستنبط من حقائق الكون حقائق يؤمن بها... أنت إذا ذكَّرت الإنسانَ ونبَّهتَه واستجاب فهو حيٌّ، الطبيب يضع أحيانًا يده على المريض فإن لم يجد نبضًا، والتنفُّس صفر، والقُزَحيَّةُ لم تتأثر بالضوء الشديد عندها يقول: عظَّم اللهُ أجرَكم، فمن هو الحي إذًا؟ هو الذي إذا دُعيَ يستجيب، إذا استمع يستجيب.

أما الذي لا يستجيب فقد أُقيمت عليه الحجة، وحَقَّ عليه القولُ، ودفع ثمنَ عملِه.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾﴾

الأنعام: الإبل والبقر والغنم، من الغنم نستفيد أصوافَها، وجلودها، والحليب... هذا كلُّه من الأنعام، فمن خلقها؟ من جعلها لك مذللة؟ الله جل جلاله.

﴿وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾﴾

هي آيةٌ بين أيديهم، لو لم تكن الأنعام و الغنم مذللة، من يقدر أن يجمع مئة غنمة، الغنم يمكن جمعه كله في قطيع واحد، وبصَفْرةٍ واحدة

يتَّجه نحو اليمين أو نحو الشمال، طَبْعٌ لطيف، طواعية، انسياق للراعي.

ومن فوائد الأنعام (بخلاف أكل لحومها) الركوب، هناك بحثٌ علمي يقول: إن استعمال الفرس يقي الإنسانَ من أمراض القلب والكبد والكليتين، أمَّا السيارة التي صممها الإنسانُ فهي قد تسبب أمراض القلب والكبد والكليتين؛ حيث إن الإنسان مصممٌ على بذل الجهد، فإذا كفَّ عن بذل الجهد تفاقمت مشكلاته، ضعُف قلبُه، ضعف كبده، ضعفت كليتاه، الطبيب يقول لك امشِ، طبيب الكليتين يقول لك امشِ، طبيب القلب يقول لك امشِ... لأن الإنسان مصمم على بذل الجهد، فإن لم يبذل الجهد تعب قلبُه وضعف، ومصمم على الإيمان فإذا لم يؤمن وأشرك يخاف، فنحن بين مشكلتين: بين كسل عضلي وبين شدة نفسية، وهما وراء أكثر أمراض الإنسان المستعصية، أمراضه المستعصية هي نتيجة للشدة النفسية مضافًا إليها الكسل العضلي، وأجدادنا حياتهم كان فيها بذلُ جهدٍ وكان هناك راحة نفسية، الراحة النفسية مع بذل الجهد تساهم في وقاية الإنسان، والشدة النفسية مع الكسل العضلي يبقى الإنسان في مرض مستمر.

كل شيء في الكون مصمم للإنسان تصميمًا كاملًا:

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾﴾

منافع ومشارب: من أنواع الأشربة الحليب واللبن وما إلى ذلك، ومنافع كثيرة؛ إذ لا يوجد شيء في الأنعام إلا ويستفاد منه، سبحان الله! هذه هدية الله لنا، وهي مصمَّمةٌ تصميمًا كاملًا، ومع كل ذلك:

﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾﴾

اتخذ الكافرُ والمشرِكُ إلهًا من دون الله، اتخذ شخصًا، اتخذ صنمًا ليحميه.

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾

كان العرب في الجاهلية إن صنعوا صنمًا يحرسونه، يعتنون به، فإذا ناله شخصٌ بأذى ضربوه، فهذا الصنم من الحجر يحتاج إلى من يحرسه، وإلى من يرعاه، وإلى من يدافع عنه، فإذا كنت أنت ترعاه، فكيف تطلب منه النصرة كيف تعبده من دون الله، ما هذا المنطق؟

﴿فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٦﴾﴾

أي يا محمد لا تأبه لكلامهم ولا تأسف أننا نعلم ما يقولون...

الإنسان مكشوفٌ عند الله عز وجل، سريرته كعلانيته، سره كظاهره، فالمؤمن حينما يرى رقابة الله عليه يستقيم على أمر الله، ويشعر حينما ينحرف قليلًا أنه سوف يأتيه العذاب من قِبَل الله عز وجل عاجلًا أم آجلًا...

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾﴾

إذا قال الإنسان لم أكُن وَقتَها! في وَعْيِي! تقول: انظر إلى ابنك.. ألم تعلم أن هذا الابن خلقه الله من نطفة من ماء مَهِين، ألم تعلمْ أن هذا الماء المهين يزيد على ثلاثمائة مليون حُوَين، وأن الإنسان مخلوق من حوين واحد، وهذا الحوين إذا اصطدم بالبويضة تمزق الغشاء وجاءت هذه المادة النبيلة فأذابت جدار البويضة حتى يدخل إليها، وأن هذا الحوين يحتوي على خمسة آلاف مليون معلومة مبرمجة بأوقات متفاوتة.

فإذا كبر الإنسانُ ودرس فلسفةً أو طبًّا صار يتفلسف على الناس ويتخاصم، ويقول: أنا لا أرى إلا الأشياء المادية، هي ما وراء الطبيعة (ميتافيزيقا)، نحن يجب أن نكون واقعيين! لا نريد غيبيات! لا نريد خيالًا! لا نريد أن نتعلق بما بعد الموت! نريد الحياة فقط!... الآن تقول هذا الكلام؟!

الإنسان تجده في طفولته كان يحتاج لمن ينظِّفه، مَن يرعاه، مَن يُطعمه، كان ضعيفًا، كان يتكلم كلامًا مُضحِكًا، فبعد أن كبِر وصار شخصيةً فَذَّةً، يريـد أن يناقش الإله: أثبتْ وجودك، وأنا لا أؤمن إلا بالواقع، هؤلاء هم الماديون، الجدليون، الملحدون...

﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ ﴾

يقـال عن هـذه الآية: إن رجـلًا جـاء إلى النبي محمد عليـه الصلاة والسـلام وفي يده عظمة بالية وقتها بين يديه وقال: يا محمد أيبعث الله هذا حيـاً بعد أن آرم -بليـت وأصبحت رماداً-، فربُّنا عـز وجل أنزل في هذه الحادثة قرآنًا.

لـو أنه تذكر هذا الرجل كيفية خَلقَهُ لما ضرب هذا المَثَل، متى ضرب هذا المثل؟ عندما نسي خَلقَه، الناس نِيامٌ، إذا ماتوا انتبهوا، فالإنسـان قبل أن يـأتي ملكُ الموت وقبل أن يندم ولات سـاعةَ مَنْدَمٍ ليذكر اللهَ قبل أن لا ينفعه التذكر.

لـو أنه ذكر خلقَه لما ضرب هذا المثلَ، ولآمنَ بالله عز وجل، إذًا ماذا نسـتنبط نحن؟ يجب أن نذكر كيف خَلَقَنا؟ نذكر أجهزتنا، نذكر آيات الله الدالـة على عظمته في خلقنا، ربنا عز وجـل يقول: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ... ﴾ (فصلت: ٥٣)، وفي آية ثانيـة يقول: ﴿ وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ﴾ (الذرايات).

جاء الجواب: من قِبل الله عز وجل:

﴿ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾

أنشأ الشيءَ: أي صنعه لأوَّل مرة ابتداء وإبداعًا. الإنسان حينما خُلِقَ

خلقه الله عز وجل، هل طرأ عليه تعديل؟ منذ أن خُلق كان خَلْقُه كمالًا مُطْلقًا، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ التين، الإنسان حينما يصنع الآلاتِ يجري عليها تطويرًا وتعديلًا إلى ما شاء الله، لكنَّ الله عز وجل عِلمُه أزليٌّ وخبرته أزليَّة، فخَلقُ الإنسانِ خَلْقٌ تامٌّ لم يطرأ عليه أيُّ تعديل وسيظل إلى يوم القيامة.

﴿ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾﴾

هذه الآية تُفسَّر بادِئَ ذي بَدءٍ على أبسط تفسير: أن الله عز وجل جعل نباتين أخضرين رطبين إذا احتكا أشعلا النار، فكان العرب يستخدمون هاذين النباتين في إشعال النار، لكن هذا المعنى يتناسب مع الذين عاصروا هذا النبات، لكن كلما تقدم العلم ألقى ضوءًا كاشفًا على بعض الآيات، بحيث يتم استنباط تفاسير أخرى، (وهذا من إعجازات القرآن).

وقد أثبت العلم الحديث أنه يوجد عمليةٌ تتم بالنبات الأخضر هي من أعجب العجائب، هذا النبات الأخضر فيه مادة اسمها اليخضور، هي سرُّ لونه الأخضر، إذا جاءها ضوء - ولاسيما أشعة الشمس - تحولت هذا المادة إلى مفاعل حراري من أضخم المفاعلات، ومعنى مفاعل حراري أي يشطر الماء شطرين.

إن أعظم معمل صنعه الإنسان لا يرقى إلى مستوى الورقة الخضراء «اليخضور»، ما هذا السرُّ الذي أصابه! بالضوء صار مفاعلًا حراريًّا شطر الماء في الورقة إلى أوكسجين وإلى هيدروجين، خرج الأوكسجين وحقق التوازن في الجو، نحن نأخذ الأوكسجين ونطرح غاز الفحم، النبات عكسنا يأخذ غاز الفحم ويطرح الأوكسجين، أصبح هناك توازن.

أحـدث نظرية للبـترول: غابـات عملاقة وأوراق نباتية، تشـكلت في عصـور مطيرة ودفنت تحت الأرض وحللـت فكانت البترول، النبات أساسـه اليخضور، لولا هذه الورقة الخضراء لما كان هذا النبات. فربُّنا عز وجل أشـار في هذه الآية إلى هذه المادة العجيبة التي لولاها لما كان النبات على وجه الأرض إطلاقًا.

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾

البدء أسهل أم الإعادة؟ الإعادة أسهل، فالإنسان حينما ينكر البعث ينكـر يوم القيامـة، على أي شيء يعتمد؟ الذي خلق هذا الكون بسـماواته وأرضه بما فيهن أليس قادرًا على أن يعيد خلقه مرة ثانية؟ بلى وهو الخلاق العليم ربُّنا سبحانه قال:

(خـلاق) صيغة مبالغة، أي: كثـير الخلق عددًا، وكثـير الخلق نوعًا وكمًّا وإبداعاً.

﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾﴾

الإنسـان حياتُه مبنيـةٌ على أنه فقير وضعيف، يَقْوى بأشـياء خارجةٍ عنـه، الإنسـان يتصل الآن ببلـد بعيد عـن طريق الهاتف، فهـو ضعيف؛ صوتـه لا يصل إلى هذا البلد... لكن الإلهَ العظيمَ شـأنُهُ غيرُ هذا الشـأنِ، يكفي إذا أراد شـيئًا أن يقول له: كن، فيكون وانتهى الأمر؛ لذلك إذا أراد الله شـيئًا وقـع، كلُّ ما أراده اللهُ وقـعَ، وكلُّ ما وقـع أراده اللهُ، وإرادة الله متعلِّقةٌ بالحكمة المُطلَقـة، وحِكمتُهُ متعلِّقةٌ بالخير المطلَق؛ لذلك مما ورد في الحديـث القدسي: «يَا عِبَادِي إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَـلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلا تَظَالَمُوا، يَا عِبَادِي لَو أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَـكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا

فِي صَعِيدٍ[1] وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ[2] إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ، يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إِلا نَفْسَهُ» أخرجه مسلم عن أبي ذر الغفاري.

أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها: بعضهم قال: يوفينا إياها في الدنيا، وفي الآخرة، وقد يوفينا بعضها في الدنيا، ويوفينا إياها كاملة في الآخرة.

﴿فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾

﴿بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ﴾: أي إن اللهَ عز وجل مالكٌ للكون مِلكًا تامًّا، خَلقًا وتصرُّفًا ومصيرًا، قال تعالى: ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ ...﴾ آل عمران/ ٢٦. الإنسان لا يملك شيئًا، من يملك قلبه؟ من يملك انتظام نموِّ الخلايا؟ يكون شخص بأعلى درجات الصحة، فجأة اختل نموُّ الخلايا بجسمه! من يملك كبدَه ألَّا يتوقف عن العمل؟ من يملك كليتيه ألَّا تتوقفا عن العمل؟ من منا يملك طِحاله؟ ... فالإنسان لا يملك شيئًا. الله تعالى مالك كل شيء وبيده كل شيء سبحانه في ملكه وملكوته...

وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

١- صعيد: الأرض الواسعة.

٢- المخيط: الأبرة.

الخاتمة

سـورة «يسّ» شـأنها شـأن كل سـور القـرآن الكريم فهـي موجهة للأحياء من بين البشر عامة وللمسـلمين خاصة للاعتبـار والعظة وتعلم حسـن الدعوة لله تعالى وتُظهِر هذه السـورة - بصورة أساسية - ضرورةَ التسليم والاستسلام لله عز وجل، وتفويضَ الأمر إليه وَحْده، وخصوصًا أثناء الدعوة إلى الله سبحانه...

والدعوة الحَقَّة لله تعالى هي الدعوة بالقدوة، أي: ابدأ أوَّلًا بنفسـك، ثـم بعائلتك ومَن حولَـك، ولْتكن أقوالُـك وأفعالُـك وأخلاقُك وجميعُ أعمالك كما أمر اللهُ عز وجل؛ قال تعالى: ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُوا۟ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾﴾ الصف.

بعدهـا لا يهمُّ أأهتدى المدعـوُّون أم لم يهتدوا، أرأيتَ النتائج أمامك أم لم ترها، لا تيأس ولا تحزن ولا تُحبَط، ولْتعلم أن سورة «يس» تصوِّر لنا ثلاثةَ نماذج من الناس:

١ - نمـوذج من الداعين إلى الله الواحد الحق، لا يبتغون إلا وجه الله تعالى وعبادتـه بالدعوة والموعظة الحسـنة، ولا يريدون أيَّ مقابل من جرَّاء ذلك العمل، ويتحركون بإيجابية، ﴿ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾.

٢ - نموذج من المدعوِّين قلوبُهم تنبض بالحياة، وقد يغفلون أحيانًا ولكنهم

يتقبلون الدعوة الحسنة بعقل منفتح، ﴿إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكۡرَ وَخَشِيَ ٱلرَّحۡمَٰنَ بِٱلۡغَيۡبِۖ فَبَشِّرۡهُ بِمَغۡفِرَةٖ وَأَجۡرٖ كَرِيمٍ ﴿١١﴾﴾.

٣ - نموذج من المدعوِّين ماتت قلوبُهم فلا يقبلون الدعوة، وبالتالي لا يهتدون أبدًا، ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾.

في هذه السورة قصةُ القريةِ التي أرسل اللهُ إليها ثلاثةً من الرسل للدعوة إليه، ولكن ظهر رجُل رابع من نوع فريد، أحسَّ بمسؤوليته عن هذا الدين وكان إيجابيًّا، ولم يقف مكتوفَ الأيدي، ولم يأبه بتهديد المدعوِّين، ولم ييأس من الدفاع عن الحق ودعوة الناس، وكان يقينه بالله قويًّا، وحبُّه لنبي قومه الذي أراد لهم الإيمان، ظهر ذلك جليًّا أثناء قتله حين قال: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾﴾.

وقد ركَّزت السورةُ أيضًا على الموت والبعث والحساب؛ حتى نتذكر أننا جميعًا سنموت، المؤمن والكافر، الطائع والعاصي، ولكلٍّ جزاؤه في الآخرة...

وأخيرًا.. فلنعلم أن الله واسعُ الجود والكرم، يجود على عباده بخير الدنيا (الزائلة) وخير الآخرة (الباقية)، وأن خير الآخرة له سببان لا ثالث لهما:

١. الإيمان بكل ما أوجب اللهُ الإيمانَ به.

٢. والعمل والتقوى التي هي امتثال الأوامر الشرعية مع إتقان العمل، واجتناب النواهي (من أقوال وأفعال).

وليعلم الإنسان أنَّ خيرَ الآخرة الدائم خيرٌ من ثواب الدنيا الزائل، - وإنْ كان مطلبًا شرعيًّا -، قال تعالى: ﴿ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي ٱلْأَخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾ (البقرة).

وكذلك ينبغي للعبد أن يدعو نفسه دائمًا ويشوِّقها لثواب الله تعالى، ولا يدعها تحزن إذا رأتْ مَلذَّاتِ الدنيا المشروعة التي قد يكون عاجزًا عن بلوغها، بل يطمئن نفسَه بالثواب الأُخرويِّ، يقول سيدنا يوسف عليه السلام: ﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (يوسف)، والله تعالى يقول: ﴿ وَلَأَجْرُ ٱلْأَخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ النحل، وقال أيضًا: ﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ ... ﴾ (الرعد: ٢٣).

وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

المراجع :

١- الآيات القرآنية من «مصحف المدينة المنورة» طباعة مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.

٢- أغلب شرح الكلمات وهداية الآيات من كتاب «أيسر التفاسير لكلام العلى القدير» للشيخ أبوبكر الجزائري رحمه الله .

٣- التفسير الموضوعي للسوره من كتاب «نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم» للشيخ محمد الغزالي رحمه الله .

٤- شرح تفصيلي للسورة من «خواطر ومحاضرات الدكتور محمد راتب النابلسي حفظه الله»، منقول بتصرف.

الفهرس

إهداء ٥

المقدمة ٧

سورة يس ١٢

• آياتها ١٢

• تسميتها ١٢

• أسباب نزولها ١٢

• فضلها ١٤

السورة: النص ومعاني الكلمات مع هداية الأيات ١٦-٢٧

التفسير الموضوعي لسورة «يس» للشيخ محمد الغزالي ٢٩

التفسير التفصيلي من محاضرات وخواطر الدكتور محمد راتب النابلسي ... ٣٩

• حكيم كلمة لها عدة معانٍ ٣٩

• من علامات الساعة ٥٦

• الماء آية من آيات الله ٦٢

التنوع والتوحد ٦٤

الخاتمة ٩١

المراجع ٩٤

الفهرس ٩٥

*****